ماركس – أنجلس

بيان الحزب الشيوعي



ياعمال العالم اتحدوا !

ماركس

أنجلس

بيـان الحزب الـشيـوعي

"إن هذا الكتاب يعرض بوضوح ودقة عبقريين المفهـــوم الجديـــد للعالم، يعرض المادية المتماسكة التي تشـــمل أيضـــاً ميـــدان الحيـــاة الاجتماعية، والديالكتيك، بوصفه العلم الأوســـع والأعمـــق للتطـــور، ونظرية النضال الطبقي والدور الثوري الذي تضطلع به في التـــاريخ العالمي البروليتاريا، خالقة المجتمع الجديد، المجتمع الشيوعي".

لينين

مقدمة الطبعة الألمانية عام ١٨٧٢

ان "عصبة الشيوعيين"، وهي جمعية عمال أممية لم يكن من الممكن بحكم الظروف في ذلك العهد إلا أن تكون جمعية سرية، كلفت الموقعين أدناه، في مؤتمر لندن المنعقد في تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٨٤٧، بوضع برنامج مفصل للحزب، نظري وتطبيقي، قصد نشره. هذا هو منشأ هذا "البيان" الذي أرسلت نسخته الخطية لتطبع في لندن قبل ثورة شباط* بعدة أسابيع. وقد نشر "البيان" بادئ الأمر بالألمانية وصدر منه في هذه اللغة ما لا يقل عن اثنتي عشرة طبعة مختلفة في ألمانيا وانكلترا وأميركا. ثم نقلته إلى الإنكليزية المس هيلين ماك فارلن، ونشر للمرة الأولى عام ١٨٥٠ في لندن بجريدة "Red Republican" ("ريد ريببليكان"). وفي عام ١٨٧١ ظهر منه في أميركا ما لا يقل عن ثلاث ترجمات مختلفة بالانكليزية. وظهرت الترجمة الفرنسية للمرة الأولى في باريس قبيل انتفاضة حزيران (يونيو) عام ١٨٤٨، ونشرته في الآونة الأخيرة جريدة "Le Socialiste" ("السوسياليست") في نيويورك. والآن تهيأ له ترجمة أخرى. وصدرت منه طبعة باللغة البولونية في لندن بعد ظهور الطبعة الألمانية الأولى بمدة وجيزة. ثم صدر باللغة الروسية في جنيف في العقد السابع، وترجم كذلك إلى اللغة الدانماركية بعيد نشره.

ورغم أن الظروف تبدلت كثيراً خلال السنوات الخمس والعشرين الأخيرة، فالمبادئ العامة الواردة في هذا "البيان" لا تزال بالإجمال محافظة حتى اليوم على كل صحتها، وان كان يجب إدخال بعض التعديل على عدد من الفقرات. إن "البيان" نفسه يوضح أن تطبيق هذه المبادئ يتعلق دائماً وفي كل مكان بالظروف والأوضاع التاريخية في وقت معين، فلا تعلق أهمية قائمة بذاتها على التدابير الثورية المذكورة في نهاية الفصل

* ثورة شباط (فبراير) عام ١٨٤٨ في فرنسا. —**الناشر**.

الثاني. ونحن لو عمدنا إلى إنشاء هذا المقطع اليوم، لاختلف في أكثر من نقطة عن الأصل. وقد شاخ هذا البرنامج اليوم في بعض نقاطه، نظراً للرقي العظيم في الصناعة الكبرى خلال السنوات الخمس والعشرين الأخيرة وما رافق هذا الرقي من تقدم الطبقة العاملة في تنظيمها الحزبي، ونظراً للتجارب الواقعية التي تركتها ثورة شباط أولاً، ثم على الخصوص كومونة باريس حين كانت السلطة السياسية لأول مرة بين أيدي البروليتاريا لمدة شهرين. فقد برهنت الكومونة بصورة خاصة أن " الطبقة العاملة لا يمكنها أن تكتفي بالاستيلاء على جهاز الدولة القائم واستخدامه في غاياتها الخاصة" (راجع 'Der Burgerkrieg in Frankreich, Adresse des Generalrats Der Internationalen Arbeiterassoziation'، الطبعة الألمانية، ص ١٩، حيث بسطت هذه الفكرة بصورة أكمل*) ومما لا ريب فيه أيضاً أن نقد الأدب الاشتراكي هو الآن غير كامل، إذ أنه يتوقف عند عام ١٨٤٧. ومن المفهوم كذلك أن الملاحظات بشأن موقف الشيوعيين من مختلف أحزاب المعارضة (الفصل ٤)، وإن كانت صحيحة اليوم أيضاً من حيث مبادئها، إلا أنها أصبحت عتيقة من حيث تفاصيلها، لمجرد كون الحالة السياسية قد تغيرت بتمامها، والتطور التاريخي قد قضى على معظم الأحزاب المذكورة فيها.

و"البيان" ، مع كل هذا، وثيقة تاريخية لا نعتبر من حقنا تعديلها، وربما نتوفق ونرفق إحدى طبعاته المقبلة بمقدمة تستطيع ملء الفراغ بين عام ١٨٤٧ وأيامنا هذه. أما الطبعة الحالية من "البيان" ، فقد فوجئنا بها مفاجأة، ولم يكن لدينا الوقت لمثل هذا العمل.

كارل ماركس . فريدريك أنجلس

لندن، ٢٤ حزيران

(يونيو) ١٨٧٢.

* راجع كارل ماركس. الحرب الأهلية في فرنسا. نداء المجلس العام لجمعية الشغيلة العالمية. –**الناشر**.

مقدمة الطبعة الروسية الثانية عام ١٨٨٢

صدرت الطبعة الروسية الأولى لـ"بيان الحزب الشيوعي" بترجمة باكونين عن مطبعة "كولوكول" في السنوات الأولى من العقد السابع* ولم تكن الطبعة الروسية "للبيان" في ذلك الحين لتنال من المكانة والأهمية في عالم الغرب أكثر مما تناله طرفة أدبية. أما اليوم فقد لا يمكن القول بمثل هذا الرأي.

إن ميدان انتشار الحركة البروليتارية كان ضيقاً جداً عند صدور "البيان" للمرة الأولى في كانون الأول (ديسمبر) عام ١٨٤٧، ويستدل على ذلك تماماً من الفصل الأخير من "البيان": "موقف الشيوعيين من مختلف أحزاب المعارضة" الذي لم يرد فيه ذكر روسيا ولا الولايات المتحدة. ففي ذلك العهد كانت روسيا آخر قوة احتياطية كبيرة للرجعية الأوروبية بأسرها، كما كانت المهاجرة إلى الولايات المتحدة تمتص ما يطفح ويفيض من قوى البروليتاريا الأوروبية. كان هذان القطران يزودان أوربا بالمواد الأولية ويقدمان لها في الوقت نفسه سوقاً لتصريف منتجاتها الصناعية. وعليه كان كل منهما بطريقة أو بأخرى، بمثابة دعامة للنظام القائم في أوربا.

ولشد ما تبدل كل ذلك الآن! فالهجرة الأوروبية هي التي، على وجه الدقة، مكنت أميركا الشمالية من تطوير زراعتها بهذا الشكل العظيم، حتى أصبحت هذه الزراعة تزعزع بمزاحمتها أسس ملكية الأرض في أوروبا سواء في ذلك الملكية الكبيرة أو الصغيرة. وهذه الهجرة نفسها هي التي مكنت أيضاً الولايات المتحدة من الشروع في استثمار مواردها الصناعية الغنية بمقاييس وهمة من شأنهما أن تحدا حدا، في وقت

---

* ان الطبعة المنوه عنها انما صدرت عام ١٨٦٩. وفي مقدمة أنجلس للطبعة الإنكليزية عام ١٨٨٨، ورد بصورة خاطئة أيضاً تاريخ صدور هذه الطبعة الروسية لترجمة "البيان" (راجع الصفحة ١٨ من الطبعة الحالية). – **الناشر.**

قصير، للاحتكار الصناعي الذي تتمتع به أوروبا الغربية وخاصة انكلترا. ويؤثر هذان العاملان، بدورهما، تأثيراً ثورياً في أميركا نفسها، فأن الملكية الصغيرة والمتوسطة لدى المزارعين، هذه الملكية التي هي قاعدة كل النظام السياسي الأميركي، تتغلب عليها يوماً بعد يوم مزاحمة المزارع الجبارة، في حين تتشكل لأول مرة في المقاطعات الصناعية بروليتاريا كبيرة العدد، ويتمركز الرأسمال تمركزاً يشبه حكايات الأساطير.

ولننتقل الآن إلى روسيا! فعند وقوع ثورة ١٨٤٨– ١٨٤٩، كان ملوك أوروبا وكذلك برجوازيتها، يرون في تدخل روسيا الوسيلة الوحيدة للنجاة من البروليتاريا التي بدأت تستيقظ، فكانوا يعلنون القيصر زعيم الرجعية في أوروبا. أما اليوم فالقيصر في غاتشينا أسير حرب الثورة، وأصبحت روسيا في طليعة الحركة الثورية في أوروبا.

كان "البيان الشيوعي" يستهدف إعلان الزوال المقبل والمحتوم للملكية البرجوازية الحالية. ولكن في روسيا، إلى جانب الرأسمالية التي تتطور بسرعة شديدة، وإلى جانب ملكية الأرض البرجوازية التي أول ما بدأت تنشأ وتتطور، نرى أن أكثر من نصف الأرض هو ملك مشاع بين الفلاحين. فالمسألة تنحصر، إذن، في أن نعرف: أبوسع الملكية المشاعية عند الفلاحين الروس – التي هي شكل متفكك جداً من ملكية الأرض المشاعية البدائية – أن تنتقل بصورة مباشرة إلى شكل أعلى، شيوعي لتملك الأرض، أم ينبغي أن تتبع في بادئ الأمر طريق الانحلال الذي عاناه التطور التاريخي في الغرب؟

أن الجواب الوحيد الذي يمكن إعطاؤه على هذا السؤال في الوقت الحاضر هو: إذا أدت الثورة الروسية إلى نشوب ثورة بروليتارية في الغرب، وكانت الثورتان احداهما تتمم الأخرى، فأن ملكية الأرض المشاعية الحالية في روسيا يمكن أن تكون نقطة انطلاق لتطور شيوعي.

كارل ماركس . فريدريك أنجلس

لندن، ٢١ كانون الثاني

(يناير) ١٨٨٢.

مقدمة الطبعة الألمانية عام ١٨٨٣

عليّ، لسوء الحظ، أن أوقع وحدي مقدمة هذه الطبعة؛ فأن ماركس، الرجل الذي تدين له الطبقة العاملة في أوروبا وأميركا بأكثر مما تدين لأي امرئ غيره، ماركس يرتاح الآن في مقبرة هايغيت، وقد أخذت الأعشاب الخضراء الأولى تنبت على قبره. وبعد وفاة ماركس، لم يعد ثمة مجال لإعادة إنشاء "البيان" أو إتمامه، وإنما أحسب من الضروري أن أؤكد مرة أخرى ما يلي.

أن الفكرة الرئيسية السائدة في "البيان"، وهي ان الإنتاج الاقتصادي والبناء الاجتماعي، الذي ينشأ بالضرورة عنه، يؤلفان في كل عهد تاريخي أساس التاريخ السياسي والفكري لهذا العهد؛ ولذا فالتاريخ بأسره (منذ انحلال الملكية البدائية المشاعية للأرض) كان تاريخ نضال بين الطبقات : الطبقات المستثمَرة والطبقات المستثمِرة، الطبقات المسودة والطبقات السائدة، في مختلف مراحل التطور الاجتماعي؛ ولكن هذا النضال قد وصل في الوقت الحاضر إلى مرحلة أصبحت فيها الطبقة المستثمَرة المرهقة (وهي البروليتاريا) لا تستطيع أبداً أن تتحرر من نير الطبقة التي تستثمرها وترهقها (وهي البرجوازية) دون أن تحرر في الوقت نفسه، وإلى الأبد، المجتمع بأسره من الاستثمار والإرهاق، ومن نضال الطبقات،- هذه الفكرة الرئيسية السائدة في "البيان" تعود بصورة مطلقة إلى ماركس، وإليه وحده* .

---

* "أن هذه الفكرة، - كما ذكرت في مقدمة الطبعة الإنكليزية، - التي ستفعل في علم التاريخ، حسب رأيي، فعل نظرية داروين في علم البيولوجيا، انما اقتربنا إليها، كلانا معاً، بصورة تدريجية، قبل عام ١٨٤٥ بعدة أعوام. أما إلى أي حد سرت أنا بنفسي في هذا الاتجاه، فأن ذلك يبدو في أشد الوضوح في كتابي "حالة الطبقة العاملة في انكلترا" . ولكن، عندما التقيت بماركس من جديد في بروكسل، في ربيع ١٨٤٥، كان قد أتم وضع هذه الفكرة، وعرضها عليّ تقريباً بنفس الوضوح الذي أوردتها به هنا". **(ملاحظة أنجلس للطبعة الألمانية عام ١٨٩٠).**

وقد أعلنت ذلك وصرحت به كثيراً، ولكن من الواجب أن يظهر الآن هذا التصريح مرة أخرى، في رأس "البيان".

فريدريك أنجلس

لندن، ٢٨ حزيران

(يونيو) ١٨٨٣.

مقدمة الطبعة الإنكليزية عام ١٨٨٨

صدر "البيان" بوصفه برنامج "عصبة الشيوعيين"، وهي رابطة للشغيلة، كانت في بادئ الأمر ألمانية صرف، ومن بعد عالمية، وكانت حتماً جمعية سرية بحكم الأوضاع السياسية في القارة قبل عام ١٨٤٨. وفي مؤتمر للعصبة انعقد في لندن في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٤٧، عهد إلى ماركس وأنجلس بإعداد برنامج مفصل للحزب، نظري وتطبيقي، قصد نشره. وقد كتب النص في ألمانيا، في شهر كانون الثاني (يناير) ١٨٤٨، وأرسلت المخطوطة باللغة الألمانية إلى الناشر في لندن قبل ثورة الرابع والعشرين من شباط (فبراير) في فرنسا ببضعة أسابيع. وفي باريس صدرت ترجمة فرنسية قبيل انتفاضة حزيران (يونيو) ١٨٤٨. وصدرت الترجمة الإنكليزية الأولى، للمس هيلين ماك فارلن، في صحيفة "Red Republican" ("ريد ريببليكان") لصاحبها جورج جوليلن هارني، في لندن، عام ١٨٥٠. كذلك صدرت ترجمة دانماركية وأخرى بولونية.

أن هزيمة الانتفاضة الباريسية في حزيران (يونيو) ١٨٤٨ – وكانت أول معركة كبيرة بين البروليتاريا والبرجوازية – نحّت من جديد إلى الظل لمدة من الوقت مطامح الطبقة العاملة الأوروبية في الميدانين الاجتماعي والسياسي. ومذ ذاك تجدد النضال في سبيل الزعامة، كما كان الحال قبل ثورة شباط، بين مختلف فئات الطبقات المالكة، بوجه الحصر؛ واضطرت الطبقة العاملة إلى النضال في سبيل حرية العمل السياسية وإلى لزوم موقف الجناح الأقصى من الراديكاليين، ممثلي الطبقة المتوسطة. وحيثما ظلت الحركات البروليتارية المستقلة تظهر عليها دلائل الحياة، فقد كان يقضي عليها بعنف وقسوة. فهكذا كشف البوليس البروسي المجلس المركزي لعصبة الشيوعيين، وكان مقره آنذاك في كولونيا. وقد اعتقل أعضاؤه، وأحيلوا إلى المحكمة في تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٥٢، بعد سجن دام ثمانية عشر شهراً. وقد دامت "محاكمة شيوعيي كولونيا" الشهيرة

هذه من الرابع من تشرين الأول حتى الثاني عشر من تشرين الثاني (نوفمبر). وحكم على سبعة من المتهمين بالأشغال الشاقة مدداً تتراوح بين ٣ سنوات و٦. وبعد الحكم فوراً، حل الأعضاء الباقون العصبة رسمياً. ومذ ذاك، على ما بدا، غدا "البيان" أمراً منسياً.

وحين استعادت الطبقة العاملة الأوروبية من القوى ما يكفيها لشن هجوم جديد على الطبقات الحاكمة، انبثقت جمعية الشغيلة العالمية*. ولكن هذه الجمعية استهدفت صراحة أن تحشد عموم البروليتاريا المناضلة في أوروبا وأميركا وتجعلها كرجل واحد، لم تستطع من الوهلة الأولى أن تجهر بالمبادئ الواردة في "البيان". فقد كان يتعين على الأممية أن يكون لها برنامج واسع بحيث تقبله النقابات الإنكليزية، ويقبله أتباع برودون في فرنسا، وبلجيكا، وايطاليا، واسبانيا، واللاساليون** في ألمانيا. إن ماركس، الذي وضع بنفسه هذا البرنامج، لما فيه رضى جميع هذه الأحزاب، كان يثق كل الثقة بنمو الطبقة العاملة الفكري الذي لابدّ أن يؤدي إليه العمل المشترك وتبادل الآراء. إن كثرة الأحداث والتقلبات التي عرفها النضال ضد الرأسمال، والهزائم أيضاً أكثر من الانتصارات، كان لا بدّ لها أن تبين للناس مختلف أنواع الوصفات المفضلة لديهم والتي كانوا يعتبرونها دواء لكل داء، وان تمهد السبيل أمام إدراك أكمل عند العمال للشروط الحقيقية لتحرر الطبقة العاملة. وكان ماركس على حق. فأن الأممية تركت العمال، عند انحلالها عام ١٨٧٤، في حالة تختلف كلياً عن الحالة التي وجدتهم فيها عند تأسيسها عام ١٨٦٤. فالبرودونية في فرنسا، واللاسالية في ألمانيا كانتا بسبيل الاحتضار، وحتى النقابات الإنكليزية المحافظة، وإن كانت أكثرها قد قطعت صلاتها بالأممية قبل ذلك بزمن طويل، شرعت تتقدم تدريجياً نحو هذا الموقف الذي استطاع أن يقول منه رئيس مؤتمرها

---

* الأممية الأولى. –**المعرب**.

** كان لاسال بنفسه يقول لنا عن نفسه أنه من تلامذة ماركس وأنه لهذا يقف في نطاق "البيان". ولكنه لم يتجاوز في نشاطه التحريضي في أعوام ١٨٦٢– ١٨٦٤ المطالبة بإنشاء جمعيات إنتاج تعاونية تدعمها الدولة بمدها بالاعتمادات. **(ملاحظة أنجلس)**.

باسمها، في السنة الماضية، في سوانسي، أن "الاشتراكية القارية لم تعد تخيفنـــا". وفـــي الواقع، انتشرت مبادئ "البيان" إلى حد كبير بين صفوف الشغيلة في جميع البلدان.

وهكذا عاد "البيان" نفسه إلى مكان الصدارة من جديد. وابتداء من عام ١٨٥٠ أعيد طبع النص الألماني مراراً عديدة في سويسرا وانكلترا وأميركا. وفي عام ١٨٧٢ تـــرجم مجدداً إلى الأنكليزية في نيويورك، حيث صدرت الترجمة في صـــحيفة "Woodhull and Claflin's Weekly" ("وودهول اند كلافلنس ويكلي"). ونقلاً عن هـــذه الترجمـــة الإنكليزية صدرت ترجمة فرنســـية فـــي جريـــدة "Le Socialiste" ("السوسياليســـت") الصادرة في نيويورك. وبعد ذاك صدرت في أميركا، على الأقل، ترجمتان انكليزيتـــان، مشوهتان إلى هذا الحد أو ذاك، وأعيد طبع واحدة منهما فـــي انكلتـــرا. أمـــا الترجمـــة الروسية الأولى التي قام بها باكونين، فقد أصدرتها دار "كولوكول" التابعة لهرتسن، فـــي جنيف، حوالي عام ١٨٦٣؛ وفي جنيف أيضاً، صدرت عـــام ١٨٨٢ ترجمـــة روســـية أخرى، قامت بها البطلة فيرا زاسوليتش*. ثم ظهـــرت طبعـــة دانماركيـــة جديـــدة فـــي "Socialdemokratisk Bibliothek" ("سوسيال ديموقراطيسك بيبليوتيك")، كوبنهاغن، عام ١٨٨٥؛ وترجمة فرنسية حديثة في "Le Socialiste" ("السوسياليســـت")، بـــاريس، عام ١٨٨٦**. ونقلاً عن هذه الترجمة الفرنسية، صدرت ترجمة إسبانية في مدريد، عـــام ١٨٨٦. أما الطبعات الألمانية فلا حاجة إلى تعدادها، وقد بلغت في نهاية الأمر ما لا يقل عن ١٢ طبعة بالأجمال. وهناك ترجمة أرمنية، أعدت للنشر في القسطنطينية منذ بضعة أشهر، ولكنها لم تر النور، كما قيل لي، لأن الناشر خاف أن ينشر كتابـــاً يحمـــل اســـم ماركس، حين رفض المترجم أن ينتحل الكتاب فيصدر على أنه من تأليفه. وقد ســـمعت عن ترجمات لاحقة بلغات أخرى، ولكني لم أرها. وهكذا يعكس تاريخ "البيان"، إلى حـــد

---

* فيما بعد أشار أنجلس بنفسه، وعن حق، في خلاصة لمقال "العلاقات الاجتماعية في روسيا" ان صاحب هذه الترجمة هو بليخانوف. –**الناشر**.

** التاريخ خاطئ. فالترجمة الفرنسية التي ذكرها أنجلس نشرت في "Le Socialiste" في عام ١٨٨٥. – **الناشر**.

كبير، تاريخ الحركة العمالية المعاصرة؛ ولا ريب أنه في الوقت الراهن أوسع المطبوعات الاشتراكية انتشاراً، وأكثرها أممية، بل هو البرنامج العام الذي يتبناه ملايين العمال من سيبيريا إلى كاليفورنيا.

ومع ذلك لم نستطع أن نسميه عند وضعه بالبيان **الاشتراكي**.

ففي عام ١٨٤٧ كان يسمى بالاشتراكيين، من جهة، أتباع مختلف النظم الطوبوية: الاووينيون في انكلترا والفوربيريون في فرنسا، وكل من الفريقين كان قد تحول إلى فئة ضيقة، مغلقة، وبسبيل الزوال تدريجياً، ومن جهة أخرى، المشعوذون الاجتماعيون من كل شاكلة وطراز، ممن كانوا يعدون بشتى وسائل التمويه بأن يقوّموا شتى المظالم الاجتماعية، دون أي مساس بالرأسمال والربح. وفي كلتا الحالتين، لم يكن هؤلاء جميعاً سوى أناس يقفون خارج حركة الطبقة العاملة وينتظرون، بالأحرى، العون والتأييد من الطبقات "المثقفة". أما ذلك القسم من الطبقة العاملة الذي اقتنع بعدم كفاية الانقلابات السياسية الصرف ونادى بضرورة إجراء تغيير اجتماعي جوهري كامل، فأطلق على نفسه إذ ذاك اسم الشيوعيين. وكان هذا نوعاً من الشيوعية، فجاً، غير مصقول، وغريزياً صرفاً؛ إلا أنه اقترب من النقطة الرئيسية، وبلغ درجة من القوة بين صفوف الطبقة العاملة مكّنته من إحداث الشيوعية الطوبوية التي نادى بها كابه في فرنسا، وويتلينغ في ألمانيا. وهكذا كانت الاشتراكية في عام ١٨٤٧ حركة من الحركات البرجوازية، والشيوعية حركة من حركات الطبقة العاملة. وكانت الاشتراكية، في القارة على الأقل، "أهلاً للاحترام"؛ بينا الشيوعية على نقيضها تماماً. وبما أننا كنا نعتبر منذ البدء، أن "تحرير الطبقة العاملة لا يمكنه إلاّ أن يكون من صنع الطبقة العاملة نفسها"، فلم يكن في استطاعتنا أن نردد في الاسم الذي ينبغي لنا أن نختاره بين الاسمين، وفضلاً عن ذلك، لم يخطر لنا قط منذ ذلك الوقت أن ننبذ هذه التسمية.

ومع أن "البيان" جاء ثمرة عملنا المشترك، إلا أني أرى من واجبي أن أعلن أن فكرته الرئيسية التي تشكل جوهره، إنما هي فكرة ماركس، وهي الفكرة التالية: أن الأسلوب الاقتصادي السائد في الإنتاج والتبادل يشكل، في كل حقبة تاريخية معينة، مع

التنظيم الاجتماعي المنبثق بالضرورة عنه، الأساس الذي يقوم عليه تاريخ هـذه الحقبة السياسي والفكري، والذي يمكن بالاعتماد عليه فقط تفسير هذا التاريخ؛ وبالتالي، فأن كل تاريخ الإنسانية (منذ انحلال المجتمع البدائي القبلي، والملكية المشاعية للأرض) قد كـان تاريخ النضال بين الطبقات، بين الطبقات المستثمِرة والمستثمَرة، بين الطبقات الحاكمة والمحكومة؛ وإن تاريخ هذه النضالات الطبقية يؤلف سلسلة من المراحل المتعاقبة بلغت اليوم مرحلة لا يمكن فيها للطبقة المستثمَرة والمضطهَدة - أي البروليتاريا- أن تحـرر نفسها من نير الطبقة المستثمِرة والحاكمة - أي البرجوازية، - دون أن تحـرر معها المجتمع بأسره، في الوقت نفسه وإلى الأبد، من كل استثمار واضطهاد، من كل الفوارق الطبقية والنضالات الطبقية.

إن هذه الفكرة، التي ستفعل في علم التاريخ، حسب رأيي، فعل نظرية داروين فـي علم البيولوجيا، أنما اقتربنا إليها، كلانا معاً، بصورة تدريجية قبـل عـام ١٨٤٥ بعـدة أعوام. أما إلى أي حد سرت أنا بنفسي في هذا الاتجاه، فأن ذلك يبدو في أشد الوضـوح في كتابي "حالة الطبقة العاملة في انكلترا"*. ولكن، عندما التقيت بماركس من جديد فـي بروكسل، في ربيع ١٨٤٥، كان قد أتم وضع هذه الفكرة، وعرضها عليّ تقريباً بـنفس الوضوح الذي أوردتها به هنا.

ومن مقدمتنا المشتركة للطبعة الألمانية عام ١٨٧٢، أورد ما يلي:

"ورغم أن الظروف تبدلت كثيراً خلال السـنوات الخمـس والعشـرين الأخيـرة، فالمبادئ العامة الواردة في هذا "البيان" لا تزال بالإجمال محافظة حتى اليوم علـى كـل صحتها، وإن كان يجب إدخال بعض التعديل على عدد من الفقرات. وإن "البيان" نفسـه يوضح أن تطبيق هذه المبادئ يتعلق دائماً وفي كل مكان بالظروف والأوضاع التاريخية في وقت معين، فلا تعلق أهمية قائمة بذاتها على التدابير الثورية المذكورة فـي نهايـة

* "The Condition of the Working Class in England in 1844" . By Frederick Engels. Translated by Florence K. Wischnewetsky, New York, Lovell- London. W. Reeves, 1888. **(ملاحظة أنجلس).**

الفصل الثاني. ونحن لو عمدنا إلى إنشاء هذا المقطع اليوم، لاختلف في أكثر من نقطة عن الأصل. وقد شاخ هذا البرنامج اليوم في بعض نقاطه، نظراً للرقي العظيم في الصناعة الكبرى خلال السنوات الخمس والعشرين الأخيرة وما رافق هذا الرقي من تقدم الطبقة العاملة في تنظيمها الحزبي، ونظراً للتجارب الواقعية التي تركتها ثورة شباط فبراير أولاً، ثم على الخصوص كومونة باريس حين كانت السلطة السياسية لأول مرة بين أيدي البروليتاريا لمدة شهرين. فقد برهنت الكومونة بصورة خاصة أن "الطبقة العاملة لا يمكنها لأن تكتفي بالاستيلاء على جهاز الدولة القائم واستخدامه في غاياتها الخاصة" (راجع – "The Civil War in France; Address of the General Council of the international Working- men's Association". London.Truelove,1871, ص١٥ [**]؛ حيث بسطت هذه الفكرة بصورة أكمل). ومما لا ريب فيه أيضاً أن نقد الأدب الاشتراكي هو الآن غير كامل، إذ أنه يتوقف عند عام ١٨٤٧. ومن المفهوم كذلك أن الملاحظات بشأن موقف الشيوعيين من مختلف أحزاب المعارضة (الفصل ٤)، وإن كانت صحيحة اليوم أيضاً من حيث مبادئها، إلا أنها أصبحت عتيقة من حيث تفاصيلها، لمجرد كون الحالة السياسية قد تغيرت بتمامها، والتطور التاريخي قد قضى على معظم الأحزاب المذكورة فيها. و"البيان"، مع كل هذا، وثيقة تاريخية لا نعتبر من حقنا تعديلها".

أن الترجمة الحالية هي للسيد صموئيل مور، مترجم القسم الأكبر من مؤلف ماركس "رأس المال". وقد أعدنا النظر فيها معاً، وأضفت إليها بعض الملاحظات التفسيرية للإشارات التاريخية.

فريدريك أنجلس

لندن، ٣٠ كانون الثاني

(يناير)١٨٨٨.

[**] راجع كارل ماركس. الحرب الأهلية في فرنسا. نداء المجلس العام لجمعية الشغيلة العالمية. –**الناشر**.

مقدمة الطبعة الألمانية عام ١٨٩٠

منذ أن كتبت ما تقدم* أصبح إصدار طبعة جديدة من "البيان" باللغة الألمانية أمـــراً ضرورياً. ومن المهم أن نستعيد هنا ذكر الحوادث التي ترتبط "بالبيان" نفسه:

صدرت عام ١٨٨٢ في جنيف طبعة ثانية باللغة الروسية ترجمتها فيرا زاسوليتش، وقد وضعنا ماركس وأنا مقدمتها؛ ولسوء الحظ أضعت النسخة الخطية الألمانية الأصلية لهذه المقدمة، وعلي أن أترجمها من جديد عن اللغة الروسية، مما لا يعود بفائـــدة علـــى النص نفسه**. وهذه هي المقدمة المذكورة:

"صدرت الطبعة الروسية الأولى لـــ("بيان الحزب الشيوعي" بترجمة باكونين عـــن مطبعة "كولوكول" في السنوات الأولى من العقد السابع. ولم تكن الطبعة الروسية "للبيان" في ذلك الحين لتنال من المكانة والأهمية في عالم الغرب، أكثر مما تناله طرفة أدبيـــة. أما اليوم فقد لا يمكن القول بمثل هذا الرأي.

أن ميدان انتشار الحركة البروليتارية كان ضيقاً جداً عنـــد صـــدور"البيان" للمـــرة الأولى في كانون الأول (ديسمبر) عام ١٨٤٧، ويستدل على ذلك تمامـــاً مـــن الفصـــل الأخير من "البيان": "موقف الشيوعيين من مختلف أحزاب المعارضة" الذي لم يرد فيـــه ذكر روسيا ولا الولايات المتحدة. ففي ذلك العهد كانت روسيا آخر قوة احتياطية كبيـــرة للرجعية الأوروبية بأسرها، كما كانت المهاجرة إلى الولايات المتحدة تمتص ما يطفـــح ويفيض من قوى البروليتاريا الأوروبية. وكان هذان القطران يزودان أوروبـــا بـــالمواد الأولية ويقدمان لها في الوقت نفسه سوقاً لتصريف منتجاتها الصناعية. وعليها كان كـــل منهما، بطريقة أو بأخرى، بمثابة دعامة للنظام القائم في أوروبا.

---

* يقصد أنجلس مقدمته للطبعة الألمانية عام ١٨٨٣. –**الناشر**.

** وجدت هذه النسخة فيما بعد، وهي محفوظة في أرشيف معهد الماركســية – اللينينيـــة لـــدى اللجنـــة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي. –**الناشر**.

ولشد ما تبدل كل ذلك الآن! فالهجرة الأوروبية هي التي، على وجه الدقة، مكنــت أميركا الشمالية من تطوير زراعتها بهذا الشكل العظيم، حتى أصبحت هــذه الزراعــة تزعزع بمزاحمتها أسس ملكية الأرض في أوروبا سواء في ذلــك الملكيــة الكبيــرة أو الصغيرة. وهذه الهجرة نفسها هي التي مكنت أيضاً الولايات المتحدة من الشــروع فــي استثمار مواردها الصناعية الغنية بمقاييس وهمة من شأنهما أن تحدا حــداً، فــي وقــت قصير، للاحتكار الصناعي الذي تتمتع به أوروبا الغربية وخاصة انكلترا. ويؤثر هــذان العاملان، بدورهما، تأثيراً ثورياً في أميركا نفسها؛ فأن الملكية الصغيرة والمتوسطة لدى المزارعين، هذه الملكية التي هي قاعدة كل النظام السياسي الأميركي، تتغلب عليها يوماً بعد يوم مزاحمة المزارع الجبارة، في حين تتشكل لأول مرة في المقاطعات الصــناعية بروليتاريا كبيرة العدد، ويتمركز الرأسمال تمركزاً يشبه حكايات الأساطير.

ولننتقل الآن إلى روسيا! فعند وقوع ثورة ١٨٤٨– ١٨٤٩، كــان ملــوك أوروبــا وكذلك برجوازيتها، يرون في تدخل روسيا الوسيلة الوحيدة للنجاة من البروليتاريا التــي بدأت تستيقظ، فكانوا يعلنون القيصر زعيم الرجعية في أوروبا. أما اليوم فالقيصــر فــي غاتشينا أسير حرب الثورة، وأصبحت روسيا في طليعة الحركة الثورية في أوروبا.

كان "البيان الشيوعي" يستهدف إعلان الزوال المقبل والمحتوم للملكية البرجوازيــة الحالية. ولكن في روسيا، إلى جانب الرأسمالية التي تتطور بسرعة شديدة، وإلى جانــب ملكية الأرض البرجوازية التي أول ما بدأت تنشأ وتتطور، نرى أن أكثر مــن نصــف الأرض هو ملك مشاع بين الفلاحين. فالمسألة تتحصر، إذن، فــي أن نعــرف: أبوســع الملكية المشاعية عند الفلاحين الروس – التي هي شكل متفكك جداً من ملكيــة الأرض المشاعية البدائية – أن تنتقل بصورة مباشرة إلى شكل أعلى، شيوعي لتملك الأرض، أم ينبغي أن تتبع في بادئ الأمر طريق الانحلال الذي عاناه التطور التاريخي في الغرب؟

ان الجواب الذي يمكن أعطاؤه على هذا السؤال في الوقت الحاضر هــو: إذا أدت الثورة الروسية إلى نشوب ثورة بروليتاريا في الغرب، وكانت الثورتان أحــداهما تــتمم

الأخرى، فأن ملكية الأرض المشاعية الحالية في روسيا يمكن أن تكون نقطة انطلاق لتطور شيوعي.

كارل ماركس . فريدريك أنجلس

لندن، ٢١ كانون الثاني

(يناير) ١٨٨٢".

وقد صدرت طبعة جديدة "للبيان" باللغة البولونية في هذا العهد نفسه في جنيف بعنوان: "Manifest Kommunistyczny"

وبعدئذ صدرت طبعة جديدة بالدانماركية عن " Socialdemokratisk Bibliothek, Kjobenhavn 1885" "المكتبة الاشتراكية الديموقراطية، كوبنهاغن ١٨٨٥")، ولكنها، مع الأسف، غير كاملة. فهناك مقاطع هامة أوقفت المترجم، كما يظهر، فأهملها، ويلمس أيضاً هنا وهناك بعض آثار الإهمال التي يؤسف لوقوعها، إذ ان الترجمة، كما يبدو من القسم الباقي، كانت تكون رائعة لو نالت نصيباً أوفى من الانتباه.

وفي عام ١٨٨٦ صدرت ترجمة فرنسية جديدة في جريدة "Le Socialiste" "السوسياليست" الباريسية، وهي حتى الآن أحسن ترجمة.

وعن هذه الترجمة الفرنسية، ظهرت في العام نفسه ترجمة باللغة الإسبانية نشرت أولاً في جريدة "El Socialista" في مدريد، ثم صدرت في كراس بهذا العنوان: "Manifesto del Partido Comunista", por Carlos Marx yf. Engels. Madrid. Administracion de "El Socialista". Hernan Cortes 8.

وأذكر هنا من باب الفضول أن ترجمة "البيان" بالارمنية قدمت عام ١٨٨٧ إلى أحد الناشرين في القسطنطينية، ولكن هذا الرجل المحترم لم يجرؤ على طبع كراس يحمل اسم ماركس ورأى ان من الأفضل أن يضع المترجم اسمه مكان اسم المؤلف، إلا أن المترجم رفض رفضاً باتاً.

وطبعت عدة مرات في إنكلترا بعض الترجمات الأميركية وكلها غير صحيحة إلى هذا الحد أو ذاك. ثم ظهرت ترجمة صحيحة تامة بقلم صديقي صموئيل مور عام ١٨٨٨ وراجعناها معاً قبل طبعها وهي بعنوان: "Manifesto of the communist Party, by Karl Marx and Frederick Engels. Authorized English Translation, edited and annotated by Frederick Engels. 1888. London, William Reeves, 185Fleet st. E.C."

وقد أوردت في هذه الطبعة الحالية بعض الملاحظات الواردة في الترجمة الإنكليزية هذه.

لقد عاش "البيان" حياة خاصة به، فاستقبلته عند صدوره طليعة الاشتراكية العلمية، وكانت إذ ذاك قليلة العدد جداً، بتحيات الحماسة (وتشهد على ذلك الترجمات المذكورة في المقدمة الأولى)، ثم قذفت به الرجعية إلى مركز ثانوي عقيب انكسار العمال الباريسيين في حزيران (يونيو) ١٨٤٨، وفي آخر الأمر أصبح "البيان" محرماً "بمقتضى القانون" عند صدور الحكم على شيوعيي كولونيا في تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٨٥٢. ومنذ زوال حركة العمال التي قامت في ثورة شباط (فبراير) عن مسرح الحياة الاجتماعية، غاب "البيان" أيضاً.

ولما استعادت الطبقة العاملة الأوروبية قواها لهجوم جديد على سلطة الطبقات الحاكمة، نشأت جمعية الشغيلة العالمية، وكان هدفها أن تصهر جميع القوى المناضلة في الطبقة العاملة الأوروبية والأميركية في جيش جرار **واحد**. فلم يكن في استطاعتها، إذن، أن **تنطلق بصورة مباشرة** من المبادئ المعروضة في "البيان"، إذ كان عليها أن تضع برنامجاً لا يقفل الباب أمام النقابات الإنكليزية ولا أمام البرودونيين الفرنسيين والبلجيكيين والإيطاليين والإسبانيين، ولا أمام اللاساليين الألمان*. وهذا البرنامج – الذي

* كان لاسال يؤكد دائماً في علاقاته معنا أنه "تلميذ" لماركس، وعلى هذا النحو كان يقف موقف "البيان"، بالطبع. ولكن الأمر لم يكن كذلك مع بعض أنصاره الذين لم يتجاوزوا برنامجه عن جمعيات إنتاج تعاونية تمدها الدولة بالاعتمادات والذين قسموا كل الطبقة العاملة إلى قسمين: أنصار الاعتماد على الحكومة وأنصار الاعتماد على النفس. **(ملاحظة أنجلس)**.

هو توطئة النظام الداخلي للاممية** – وضعه ماركس بمهارة اعترف بها حتى باكونين والفوضويون. وكان ماركس يؤمن الإيمان كله بالانتصار النهائي للمبادئ الواردة في "البيان"، وهو يعتمد في ذلك كلياً وبوجه الحصر على التقدم الفكري للطبقة العاملة، الذي كان يجب أن ينتج حتماً عن النشاط المشترك والمناقشة. ولم يكن من الممكن أن تمر الحوادث وتتابع الانتصارات والاندحارات في النضال ضد الرأسمال، والاندحارات أكثر من الانتصارات، دون أن تشعر المناضلين بأن علاجاتهم الشافية غير كافية، وتجعلهم يدركون إدراكاً عميقاً الشروط الحقيقية الضرورية لتحرير العمال. وكان ماركس محقاً فيما يذهب إليه. فأن الطبقة العاملة في عام ١٨٧٤، بعد حل الأممية كانت تختلف اختلافاً كلياً عن تلك التي كانت في عام ١٨٦٤ عند تأسيس الأممية. فالبرودونية في البلاد اللاتينية، واللاسالية الموصوفة في ألمانيا، كانتا في دور الاحتضار وحتى النقابات الإنكليزية نفسها المغرقة في الرجعية كانت تقترب شيئاً فشيئاً من اللحظة التي كان يستطيع فيها رئيس مؤتمرها المنعقد في سوانسي عام ١٨٨٧ أن يصرح باسمها: "أن الاشتراكية القارية لم تعد تخفينا". إلا أن الاشتراكية في القارة الأوروبية كانت آنذاك، أي عام ١٨٨٧، تنطبق كلها تقريباً على النظرية المشروحة في "البيان". وهكذا يعكس تاريخ "البيان"، إلى حد ما، تاريخ حركة العمال الحديثة منذ عام ١٨٤٨. ولا ريب أنه في الوقت الراهن أوسع المطبوعات الاشتراكية انتشاراً وأكثرها أممية، بل هو البرنامج العام للملايين العديدة من العمال في جميع البلدان، من سيبيريا إلى كاليفورنيا.

ومع ذلك لم يكن في استطاعتنا أن نسميه عند صدوره بالبيان **الاشتراكي**. ففي عام ١٨٤٧ كانت كلمة "الاشتراكي" هذه تضم نوعين من الناس: من جهة أتباع مختلف النظم الطوبوية، وأخصهم "الاووينيون" في إنكلترا، و"الفوربيريون" في فرنسا، وكانوا جميعاً قد أصبحوا حلقات بسيطة في دور الاحتضار. ومن جهة أخرى المشعوذون الاجتماعيون من كل شاكلة وطراز، الذين كانوا يريدون بواسطة أكداس العلاجات، وكل أنواع الترقيع والترميم، أن يمحوا البؤس الاجتماعي دون أن يصيبوا الرأسمال والربح بأدنى ضرر.

** راجع كارل ماركس. النظام الداخلي العام ولائحة التنظيم لجمعية الشغيلة العاملية. –**الناشر**.

وفي كلتا الحالتين، لم يكن هؤلاء جميعاً سوى أناس يقفون خارج حركة العمال وينتظرون، بالأحرى، العون والتأييد من الطبقات "المثقفة". وبعكس ذلك، كان هناك قسم من العمال مقتنع بعدم كفاية الانقلابات السياسية الصرف، ويسعى وراء تغيير المجتمع تغييراً جوهرياً كاملاً، وكان هذا القسم يسمي نفسه إذ ذاك **شيوعياً**. وكانت شيوعيتهم هذه غير مكتملة، شيوعية غريزية، فيها أحياناً شيء من الخشونة، إلا أنه كان فيها، مع ذلك القوة الكافية لتكوين منهجين من الشيوعية الطوبوية: في فرنسا "ايكارية" كابه، وفي ألمانيا منهج ويتلينغ. كانت الاشتراكية تدل في عام ١٨٤٧ على حركة برجوازية، والشيوعية على حركة عمالية. وكانت للاشتراكية، في القارة الأوروبية على الأقل، مداخلها إلى المجتمع الراقي؛ أما الشيوعية، فكان الأمر معها على عكس ذلك تماماً! ولما كان رأينا الصريح الواضح منذ ذلك الحين أن "تحرير الطبقة العاملة لا يمكنه إلا أن يكون من صنع الطبقة العاملة نفسها"، لم يكن في استطاعتنا أن نتردد لحظة في الاسم الذي ينبغي لنا أن نختاره بين الأسمين. ولم يخطر لنا قط منذ ذلك الوقت أن ننبذ هذه التسمية.

"يا عمال العالم، اتحدوا!" – حينما القينا هذه الكلمات في العالم لم تجاوبنا سوى بضعة أصوات فقط. وكان ذلك منذ اثنتين وأربعين سنة وكنا إذ ذاك على أعتاب الثورة الباريسية، أول ثورة خاضتها البروليتاريا بمطاليبها الخاصة. ولكن لم يحن يوم ٢٨ أيلول (سبتمبر) عام ١٨٦٤ حتى كان العمال من أكثر أقطار أوروبا الغربية يتحدون ويؤلفون جمعية الشغيلة العالمية ذات الذكرى المجيدة. ان الأممية نفسها لم تعش سوى تسع سنوات. أما التحالف الأبدي الذي أنشأته بين عمال جميع البلدان، فليس أدل من يومنا هذا نفسه على أنه لا يزال موجوداً، وأنه الآن أقوى منه في أي وقت مضى. ففي اللحظة التي أكتب فيها هذه السطور، تستعرض البروليتاريا الأوروبية والأميركية قواها الكفاحية التي تنتظم لأول مرة في جيش **واحد**، وتحت علم **واحد**، وفي سبيل هدف مباشر **واحد** – هو تحديد يوم العمل العادي بثماني ساعات تحديداً قانونياً، هذا اليوم الذي طالب به مؤتمر الأممية المنعقد في جنيف عام ١٨٦٦، وطالب به من جديد مؤتمر العمال

المنعقد في باريس عام ١٨٨٩. إن مرأى هذا اليوم ســوف يبــين للرأســماليين وكبــار أصحاب الأراضي في كل الأقطار، إن عمال العالم متحدون الآن اتحاداً حقيقياً فعلياً.

ألا ليت ماركس إلى جانبي ليرى بعينيه كل هذا!

فريدريك أنجلس

لندن، أول أيار

(مايو) ١٨٩٠.

مقدمة الطبعة البولونية عام ١٨٩٢

لقد أصبح من الضروري إصدار طبعة بولونية جديدة من "البيان الشيوعي"، وهـذا الواقع يولّد مختلف الأفكار.

بادئ ذي بدء، تنبغي الإشارة إلى أن "البيان" قد غدا في المدة الأخيرة بمثابة مقياس يدل على تطور الصناعة الكبيرة في القارة الأوروبية. وتبعاً لاتساع الصناعة الكبيرة في بلد معين، تشتد الرغبة بين عمال هذا البلد في إدراك موقفهم بوصفهم الطبقة العاملة في علاقتها مع الطبقات المالكة، وتنتشر الحركة الاشتراكية بينهم، ويتعاظم الطلب على "البيان". وهكذا، ان حالة الحركة العمالية، وليست وحدها وحسب، بل درجة تطور الصناعة الكبيرة أيضاً، يمكن قياسهما بدقة كافية في كل بلد بعدد النسخ المتداولة من "البيان" بلغة هذا البلد.

وعليه، أن الطبعة البولونية الجديدة تدل على مدى تقدم الصناعة البولونية. ولا سبيل إلى الشك في أن هذا التقدم قد تحقق في الواقع منذ الطبعة الأخيرة التي صدرت لعشر سنوات خلت. فأن المملكة البولونية، "بولونيا المؤتمر"، قد غدت منطقة صناعية كبيرة في الإمبراطورية الروسية. وبينما تقوم الصناعة الروسية الكبيرة بصورة متفرقة – قسم حول خليج فنلندا، وآخر في الوسط (موسكو وفلاديمير)، وثالث على شواطئ البحر الأسود وبحر آزوف، وأقسام أخرى هنا وهناك – انحصرت الصناعة البولونية في رقعة صغيرة نسبياً من الأرض، وتلازمها في آن واحد المزايا والأضرار التي تلازم مثل هذا التمركز. ولقد قدّر الصناعيون الروس المزاحمون هذه المزايا حق قدرها حين طالبوا بفرض رسوم الحماية الجمركية ضد بولونيا، بالرغم من شدة رغبتهم في روسنة البولونيين. أما الأضرار – بالنسبة للصناعيين البولونيين والحكومة الروسية – فأنها تبدو بجلاء في سرعة انتشار الأفكار الاشتراكية بين العمال البولونيين وفي ازدياد الطلب على "البيان".

ولكن سرعة تطور الصناعة البولونية هذه، التي تفوق سرعة تطور الصناعة الروسية، تشكل، بدورها، برهاناً جديداً على حيوية الشعب البولوني التي لا ينضب لها معين، وضمانة جديدة لانبعاثه الوطني الوشيك. ان انبعاث بولونيا مستقلة قوية لأمر لا يهم البولونيين وحدهم وحسب، بل يهمنا جميعنا أيضاً. ولا يمكن أن يقوم أي تعاون أممي مخلص بين الأمم الأوروبية إلا إذا كانت كل من هذه الأمم مستقلة كل الاستقلال في أرضها. أن ثورة ١٨٤٨، التي حملت المناضلين البروليتاريين على أن يقوموا، في آخر المطاف، تحت راية البروليتاريا، بعمل البرجوازية، قد أمنت أيضاً استقلال إيطاليا وألمانيا والمجر عبر منفذّي وصاياها، لويس بونابرت وبيسمارك. ولكن بولونيا التي فعلت للثورة، منذ ١٧٩٢، أكثر من هذه البلدان الثلاثة معاً، قد تركت لشأنها حين غلبت على أمرها في عام ١٨٦٣ تحت قوة روسية تزيدها عشر مرات. ولم تستطع طبقة النبلاء لا أن تحافظ على استقلال بولونيا، ولا أن تستعيده؛ أما اليوم، فأن هذا الاستقلال، بنظر البرجوازية، هو، كما يقال، آخر ما تهتم به، شيء غير مادي. ومع ذلك، فهو ضروري لانسجام التعاون بين الأمم الأوروبية. ولا يمكن أن يظفر به غير البروليتاريا البولونية الفتية، وهو مضمون في يدها. ان استقلال بولونيا ضروري لعمال سائر أقطار أوروبا بقدر ما هو ضروري للعمال البولونيين أنفسهم.

فريدريك أنجلس

لندن، ١٠ شباط

(فبراير) ١٨٩٢.

مقدمة الطبعة الإيطالية عام ١٨٩٣

إلى القارئ الإيطالي

صادف صدور "**بيان الحزب الشيوعي**"، كما يمكن القول، في ١٨ آذار (مـــارس) ١٨٤٨، يوم نشوب الثورة في ميلانو والثورة في برلين وقد كانـــت هاتـــان الثورتـــان انتفاضتين مسلحتين لامتين تقطنان، إحداهما في وسط القارة الأوروبيـــة، والثانيـــة فـــي وسط بلدان البحر الأبيض المتوسط؛ أمتين أضفهما حتى ذاك الانقسام والنزاع الـــداخلي، ووقعتا بالتالي تحت نير السيطرة الأجنبية. فبينا إيطاليا تخضع لإمبراطور النمسا، كانت ألمانية تنوء فعلاً تحت نير قيصر عموم روسيا، وأن بصورة غير مباشرة. ولكن نتـــائج ١٨ آذار ١٨٤٨ أنقذت كلاً من إيطاليا وألمانيا من هذه المحنة. وإذا كانت هاتان الأمتان الكبيرتان قد عادتا، بهذا الشكل أو ذاك، من عام ١٨٤٨ إلى ١٨٧١ وتشكلتا في أمتـــين وانتهجتا نهجاً مستقلاً، فلأن أولئك الذين قمعوا ثورة ١٨٤٨، كانوا، مع ذلك، كما كـــان يقول ماركس عادة، منفذي وصاياها رغم أنفهم.

وفي كل مكان كانت هذه الثورة من صنع الطبقة العاملة؛ فأن الطبقة العاملـــة هـــي التي بنت المتاريس وبذلت دماءها سخية. ولكن عمـــال بـــاريس وحـــدهم، إذ أســـقطوا الحكومة، انما كانوا قد صمموا العزم على إسقاط النظام البرجـــوازي أيضـــاً. غيـــر أن إدراكهم للتناحر المحتم القائم بين طبقتهم بالذات والبرجوازية، لم يبلغ حتى ذاك، لا مـــن حيث تقدم البلاد الاقتصادي، ولا من حيث تطور جماهير العمال الفرنســـيين الفكـــري، درجة تمكّن من تغيير الأوضاع الاجتماعية، ولهذا، كما يبدو في آخر تحليـــل، قطفـــت الطبقة الرأسمالية ثمار الثورة. وفي البلدان الأخرى – في إيطاليا وألمانيا والنمسا – لـــم يفعل العمال، منذ البداية، غير أن رفعوا البرجوازية إلـــى دفـــة الحكـــم. ولكـــن حكـــم البرجوازية يستحيل، في أي بلد كان، دون الاستقلال الوطني. ولهذا كـــان علـــى ثـــورة

١٨٤٨ أن تحمل معها في مجراها الوحدة والاستقلال للأمم التي كانت محرومة منهما حتى ذاك: إيطاليا وألمانيا والمجر. وستتبعها بولونيا بدورها.

وعليه، إذا لم تكن ثورة ١٨٤٨ ثورة اشتراكية، إلا أنها مهدت السبيل وفسحت المجال للثورة الاشتراكية. وبفضل النهضة التي عرفتها الصناعة الكبيرة في جميع البلدان، أوجد النظام البرجوازي في كل مكان، خلال السنوات الخمس والأربعين الأخيرة، بروليتاريا كثيرة العدد، متمركزة وقوية. وهكذا أوجد، كما يقول "البيان"، حفاري قبره. وبدون إعادة الوحدة والاستقلال لكل أمة يستحيل تحقيق اتحاد البروليتاريا من مختلف الأمم أو تحقيق التعاون السلمي والواعي بين هذه الأمم في سبيل الأهداف المشتركة. وبهذا الصدد، لنتصور فقط لو أن العمال الإيطاليين والمجريين والألمان والبولونيين والروس قاموا بعمل أممي مشترك في الأوضاع السياسية التي سبقت عام ١٨٤٨!

وهكذا، فان معارك ١٨٤٨ لم تذهب عبثاً. ولا السنوات الخمس والأربعون التي تفصلنا عن هذه المرحلة الثورية مرت بلا أثر. فالثمار بسبيل أن تنضج، وكل ما أتمناه أن يبشر إصدار هذه الترجمة الإيطالية بانتصار البروليتاريا الإيطالية كما بشر إصدار النص الأصلي بالثورة العالمية.

إن "البيان" يقر بالدور الثوري الذي اضطلعت به الرأسمالية في الماضي. ان أول أمة رأسمالية كانت إيطاليا. فان نهاية القرون الوسطى الإقطاعية وبزوغ فجر العهد الرأسمالي الحالي قد انطبعا بصورة عملاق، هي صورة الإيطالي دانته، الذي كان في آن واحد آخر شاعر في القرون الوسطى وأول شاعر في الأزمنة الحديثة. واليوم، كما في عام ١٣٠٠، يقترب عهد تاريخي جديد. فهل تعطينا إيطاليا دانته جديداً، يؤذن بساعة ولادة هذا العهد الجديد، البروليتاري؟

فريدريك أنجلس

لندن، أول شباط

(فبراير) ١٨٩٣.

بيان الحزب الشيوعي

هناك شبح يجول في أوروبا – هو شبح الشيوعية. وقد اتحدت كل قوى أوروبا العجوز في حلف مقدس لملاحقته والتضييق عليه: من البابا والقيصر إلى مترنيخ وغيزو، ومن الراديكاليين في فرنسا إلى رجال الشرطة في ألمانيا.

أي حزب معارض لم يتهمه خصومه القابضون على زمام السلطة بالشيوعية؟ وأي حزب معارض لم يلصق، بدوره، تهمة الشيوعية – الدامغة– سواء بأقسام المعارضة التي هي أكثر تقدماً منه، أم بأخصامه الرجعيين؟

ومن كل ذلك نستخلص شيئين:

أولهما: ان الشيوعية أصبحت قوة معترفاً بها من جميع القوى الأوروبية.

والثاني: ان الشيوعيين قد آن لهم أن يعرضوا أمام العالم بأسره مفهوماتهم وأهدافهم وميولهم، ويدحضوا خرافة شبح الشيوعية ببيان من الحزب نفسه.

ولهذه الغاية اجتمع في لندن شيوعيون من مختلف القوميات ووضعوا "البيان" التالي الذي ينشر باللغات : الإنكليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والفلمنكية والدانماركية.

١

البرجوازيون والبروليتاريون*

إن تاريخ كل مجتمع** إلى يومنا هذا لم يكن سوى تاريخ النضال بين الطبقات.

فالحر والعبد، والنبيل والعامي، والسيد الإقطاعي والقن، والمعلم* والصانع، أي بالاختصار المضطهِدون والمضطهَدون، كانوا في تعارض دائم، وكانت بينهم حرب مستمرة تارة ظاهرة وتارة مستترة، حرب كانت تنتهي دائماً إما بانقلاب ثوري يشمل المجتمع بأسره وأما بانهيار الطبقتين المتناضلتين معاً.

---

* نعني بالبرجوازية طبقة الرأسماليين المعاصرين، مالكي وسائل الإنتاج الاجتماعي الذين يستخدمون العمل المأجور. ونعني بالبروليتاريا طبقة العمال الأجراء المعاصرين الذين لا يملكون أية وسائل إنتاج فيضطرون بالتالي إلى بيع قوة عملهم لكي يعيشوا. **(ملاحظة أنجلس للطبعة الإنكليزية عام ١٨٨٨).**

** وعلى الأصح التاريخ **المكتوب:** ففي عام ١٨٤٧ كان تاريخ النظام الاجتماعي الذي سبق كل تاريخ مكتوب، أي عهد ما قبل التاريخ، مجهولاً تقريباً. وبعدئذ اكتشف هاكستهاوزن في روسيا الملكية المشاعية للأرض، وبرهن موريرر أن هذه الملكية المشاعية كانت الأساس الاجتماعي الذي انطلق منه تاريخياً تطور جميع القبائل الجرمانية، ثم تبين شيئاً فشيئاً أن المشاعة الريفية مع التملك الجماعي للأرض كانت في الماضي أو تؤلف الآن الشكل الابتدائي للمجتمع في كل مكان من الهند إلى ايرلندا. وأخيراً اتضح تماماً التنظيم الداخلي لهذا المجتمع الشيوعي الابتدائي بما فيه من ميزات أساسية، عقب اكتشاف مورغان الذي بين الطبيعة الحقيقية **للعائلة الابتدائية الأولى** ومكانها من **القبيلة**. وبانحلال هذه المشاعة الابتدائية يبدأ انقسام المجتمع إلى طبقات متمايزة تصبح آخر الأمر متعارضة. وقد حاولت تتبع سير هذا الانحلال في كتابي "Der Ursprung der Familie, des Privateigentums und des Staats", 2. Aufl., Stuttgart, 1886. الطبعة الثانية (راجع **فريدريك أنجلس**. أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة). **(ملاحظة أنجلس للطبعة الإنكليزية سنة ١٨٨٨).**

* **المعلم:** عضو كامل الحقوق في الحرفة، معلم في داخل المشغل لا رئيسه. **(ملاحظة أنجلس للطبعة الإنكليزية سنة ١٨٨٨).**

وخلال العهود التاريخية السابقة نجد المجتمع في كل مكان تقريباً، منظماً تنظيماً متسلسلاً، والأوضاع الاجتماعية على مراتب ودرجات متفاوتة. ففي روما القديمة نجد النبلاء، ثم الفرسان، ثم العامة، ثم الأرقاء؛ في القرون الوسطى نجد الإقطاعيين الأسياد، ثم الإقطاعيين الاتباع، ثم المعلمين، ثم الصناع، ثم الأقنان، ونجد تقريباً داخل كل طبقة من هذه الطبقات مراتب ودرجات خاصة.

أما المجتمع البرجوازي الحديث الذي نشأ على أنقاض المجتمع الإقطاعي؛ فانه لم يقض على هذا التناحر بين الطبقات، بل أقام طبقات جديدة بدلاً من القديمة، وأوجد ظروفاً جديدة للاضطهاد وأشكالاً جديدة للنضال.

الا أن الذي يميز عصرنا الحاضر، عصر البرجوازية هو أنه جعل التناحر الطبقي أكثر بساطة: فان المجتمع آخذ في الانقسام أكثر فأكثر، إلى معسكرين فسيحين متعارضين، إلى طبقتين كبيرتين، العداء بينهما مباشر – هما البرجوازية والبروليتاريا.

فمن أقنان القرون الوسطى نشأت عناصر المدن الأولى؛ ومن هؤلاء السكان المدنيين خرجت العناصر الأولى للبرجوازية.

ثم كان اكتشاف أميركا والطريق البحري حول شواطئ أفريقيا الذي قدم للبرجوازية الصاعدة ميداناً جديداً للعمل. فان أسواق الهند والصين واستعمار أميركا والتبادل مع المستعمرات وتعدد وسائل التبادل وتدفق البضائع بوجه عام، كل هذه الأمور دفعت التجارة والملاحة والصناعة إلى الأمام بقوة لم تكن معروفة إلى ذلك الحين وأمنت بذلك نمواً سريعاً للعنصر الثوري في المجتمع الإقطاعي الآخذ في الانحلال.

ولم يعد في استطاعة أسلوب الإنتاج الصناعي القديم، الإقطاعي أو الحرفي، أن يلبي الحاجات التي كانت تزداد مع افتتاح الأسواق الجديدة، فحلت المانيفاكتورة محله، وأخذت الفئة الصناعية المتوسطة مكان المعلمين، واختفى تقسيم العمل بين هيئات الحرف المختلفة أمام تقسيم العمل في قلب الورشة نفسها.

إلا أن الأسواق كانت تتسع وتتعاظم دون انقطاع، والطلب يزداد باستمرار، فأصبحت المانيفاكتورة نفسها غير وافية بالحاجة. وعندئذ أحدث البخار والآلة انقلاباً

ثورياً في الإنتاج الصناعي، وحلت الصناعة الكبرى الحديثة محل المانيفاكتورة، وأخلت الفئة الصناعية المتوسطة الميدان لرجال الصناعة أصحاب الملايين، لقواد الجيوش الصناعية الحقيقية أي لبرجوازيي العصر الحاضر.

وخلقت الصناعة الكبرى السوق العالمية التي هيأها اكتشاف أميركا. وأدت السوق العالمية إلى توسع التجارة والملاحة وتقدم المواصلات البرية بصورة هائلة. ثم عاد هذا التوسع فأثر بدوره في مجرى الصناعة؛ وكلما كانت الصناعة والتجارة والملاحة والسكك الحديدية تتقدم وتنمو، كانت البرجوازية كذلك تنمو وتتعاظم وتضاعف رساميلها وتدفع إلى الوراء جميع الطبقات التي خلفتها القرون الوسطى.

فالبرجوازية المعاصرة نفسها، كما نرى، هي نتيجة تطور طويل وسلسلة من الثورات في أساليب الإنتاج والتبادل.

وكانت كل مرحلة من مراحل التطور التي مرت بها البرجوازية يقابلها رقي سياسي مناسب تحرزه هذه الطبقة. فقد كانت البرجوازية في بادئ الأمر فئة مضطهدة تحت عسف الاقطاعيين واستبدادهم، ثم كانت جماعة مسلحة تدير نفسها بنفسها في الكومونة*، هنا جمهورية مدنية مستقلة، وهناك فئة ثالثة ضمن المملكة تدفع الجزية للملك، ثم في عهد المانيفاكتورة كانت البرجوازية قوة توازن رجحان قوة النبلاء في الممالك ذات الحكم المقيد أو المطلق وحجر الزاوية للممالك الكبرى بوجه عام، وآخراً منذ أن توطدت الصناعة الكبرى وتأسست السوق العالمية استولت البرجوازية على كل

---

* "الكومونة" – هكذا كانت تسمى في فرنسا المدن الناشئة حتى قبل أن تنتزع من مالكيها وأسيادها الإقطاعيين الإدارة المحلية الذاتية والحقوق السياسية "للفئة الثالثة". وبوجه عام، أخذت إنكلترا هنا نموذجاً لتطور البرجوازية الاقتصادي وأخذت فرنسا نموذجاً لتطور البرجوازية السياسي. **(ملاحظة أنجلس للطبعة الإنكليزية عام ١٨٨٨).**

الكومونة – هكذا كان سكان المدن في إيطاليا وفرنسا يسمون مجموعتهم المدينية، فور انتزاعهم أو شرائهم من سادتهم الإقطاعيين حقوقهم الأولية في إدارة ذاتية. **(ملاحظة أنجلس للطبعة الألمانية عام ١٨٩٠).**

السلطة السياسية في الدولة التمثيلية الحديثة. فالحكومة الحديثة ليست سوى لجنة إدارية تدير الشؤون العامة للطبقة البرجوازية بأسرها.

لقد لعبت البرجوازية في التاريخ دوراً ثورياً للغاية.

فحيثما استولت البرجوازية على السلطة سحقت تحت أقدامها جميع العلاقات الإقطاعية والبطريركية والعاطفية، وحطمت دون رأفة الصلات المزخرفة التي كانت في عهد الإقطاعية تربط الإنسان "بسادته الطبيعيين" ولم تبق على صلة بين الإنسان والإنسان إلا صلة المصلحة الجافة والدفع الجاف "نقداً وعداً". وأغرقت الحمية الدينية وحماسة الفرسان ورقة البرجوازية الصغيرة في مياه الحساب الجليدية المشبعة بالأنانية، وجعلت من الكرامة الشخصية مجرد قيمة تبادل لا أقل ولا أكثر، وقضت على الحريات الجمة، المكتسبة والممنوحة، وأحلت محلها حرية التجارة **وحدها**، هذه الحرية القاسية التي لا تشفق ولا ترحم. فهي، بالاختصار، استعاضت عن الاستثمار المقنع بالأوهام الدينية والسياسية باستثمار مكشوف شائن مباشر فظيع.

وانتزعت البرجوازية عن المهن والأعمال التي كانت تعتبر إلى ذلك العهد محترمة مقدسة، كل بهائها ورونقها وقداستها، وأدخلت الطبيب ورجل القانون والكاهن والشاعر والعالم في عداد الشغيلة المأجورين في خدمتها.

ومزقت البرجوازية الحجاب العاطفي الذي كان مسدلاً على العلاقات العائلية وأحالتها إلى علاقات مالية صرف.

وبينت البرجوازية كيف أن الكسل والخمول في القرون الوسطى كانا التتمة الطبيعية لذلك المظهر الفظ للقوة الجسمانية التي تعجب بها الرجعية ايما إعجاب. والبرجوازية هي أول من أظهر ما يستطيع إبداعه النشاط الإنساني، فقد خلقت عجائب تختلف كل الاختلاف عن أهرامات مصر والأقنية الرومانية والكنائس الغوطية، وقادت حملات لا تشابه في شيء هجرات الشعوب والحروب الصليبية.

ان البرجوازية لا تعيش إلا إذا أدخلت تغييرات ثورية مستمرة على أدوات الإنتاج، وبالتالي على علاقات الإنتاج، أي على العلاقات الاجتماعية بأسرها. وبعكس ذلك، كانت

المحافظة على أسلوب الإنتاج القديم، الشرط الأول لحياة الطبقات الصناعية السالفة. فهذا الانقلاب المتتابع في الإنتاج، وهذا التزعزع الدائم في كل العلاقات الاجتماعية، وهذا التحرك المستمر وانعدام الاطمئنان على الدوام، كل ذلك يميز عهد البرجوازية عن كل العهود السالفة؛ فأن كل العلاقات الاجتماعية التقليدية الجامدة، وما يحيط بها من مواكب المعتقدات والأفكار، التي كانت قديماً محترمة مقدسة، تنحل وتندثر؛ أما التي تحل محلها فتشيخ ويتقادم عهدها قبل أن يصلب عودها. وكل ما كان تقليدياً ثابتاً يطير ويتبدد كالدخان، وكل ما كان مقدساً يعامل باحتقار وازدراء ويضطر الناس في النهاية إلى النظر إلى ظروف معيشتهم وعلاقاتهم المتبادلة بعيون يقظة لا تغشاها الأوهام.

وبدافع الحاجة الدائمة إلى أسواق جديدة تنطلق البرجوازية إلى جميع أنحاء الكرة الأرضية. فينبغي لها أن تدخل وتتغلغل في كل مكان، وتوطد دعائمها في كل مكان، وتقيم الصلات في كل مكان.

وباستثمار السوق العالمية تصبغ البرجوازية الإنتاج والاستهلاك في كل الأقطار بصبغة كوسموبوليتية. وتنزع من الصناعة أساسها الوطني، بين يأس الرجعيين وقنوطهم، فتنقرض الصناعات الوطنية التقليدية القديمة أو تصبح على وشك أن تنقرض. وتحل محلها صناعات جديدة يصبح إدخالها وتعميمها مسألة حيوية لكل الأمم المتمدنة، صناعات لم تعد تستعمل المواد الأولية المحلية وحسب بل أيضاً المواد الأولية الآتية من أبعد مناطق العالم ولا تستهلك منتجاتها في داخل البلاد نفسها فحسب بل أيضاً في جميع أنحاء المعمورة. وتتولد، بدلاً من الحاجات القديمة التي كانت تكفيها المنتجات الوطنية، حاجات جديدة تتطلب لكفايتها منتجات أقصى الأقطار ومختلف المناخات. ومكان الانعزال المحلي والوطني السابق والاكتفاء الذاتي، تقوم بين الأمم صلات شاملة وتصبح الأمم متعلقة بعضها ببعض في كل الميادين. وما يقال عن الإنتاج المادي ينطبق أيضاً على الإنتاج الفكري. فثمار النشاط الفكري عند كل أمة تصبح ملكاً مشتركاً لجميع الأمم. ويصبح من المستحيل أكثر فأكثر على أية أمة أن تظل محصورة في أفقها الضيق ومكتفية به. ويتألف من مجموع الآداب القومية والمحلية أدب عالمي.

وتجر البرجوازية إلى تيار المدنية كل الأمم، حتى أشدها همجيـة، تبعـاً لسـرعة تحسين جميع أدوات الإنتاج وتسهيل وسائل المواصلات إلا ما لا حد له. فـان رخـص منتجاتها هو في يدها بمثابة مدفعية ضخمة تقتحم وتخرق كل ما هنالـك مـن أسـوار صينية، وتنحني أمامها رؤوس أشد البرابرة عداء وكرهاً للأجانب. وتجبر البرجوازيـة كل الأمم، تحت طائلة الموت، أن تقبل الأسلوب البرجوازي في الإنتاج وأن تدخل إليهـا المدنية المزعومة، أي أن تصبح برجوازية. فهي، بالاختصـار، تخلـق عالمـاً علـى صورتها ومثالها.

وأخضعت البرجوازية الريف للمدينة، فأنشأت المدن الكبرى وزادت سكان المـدن زيادة هائلة بالنسبة لسكان الأرياف، وانتزعت بذلك قسماً كبيراً من السكان مـن بـلادة الحياة القروية. وكما أنها أخضعت الريف للمدينة، كـذلك أخضـعت البلـدان الهمجيـة ونصف الهمجية للبلدان المتمدنة، الأمم الفلاحية – للأمم البرجوازية، الشرق – للغرب.

وتقضي البرجوازية أكثر فأكثر على تبعثر وسائل الإنتاج والملكية والسكان. وقـد كدست السكان ومركزت وسائل الإنتاج وجمعت الملكية في أيدي أفراد قلائل. وكانـت النتيجة المحتومة لهذه التغييرات نشوء التمركز السياسي. فالمقاطعات المستقلة التي كانت العلاقات بينها تكاد تكون علاقات اتحادية، والتي كانت لها مصالح وقوانين وحكومـات وتعرفات جمركية مختلفة، انما جمعت كلها ودمجت في أمة **واحدة** مع حكومة **واحـدة**، وقوانين **واحدة**، ومصلحة قومية طبقية **واحدة**، وراء حاجز جمركي **واحد**.

وخلقت البرجوازية، منذ تسلطها الذي لم يكد يمضي عليه قرن واحد، قوى منتجـة تفوق في عددها وعظمتها كل ما صنعته الأجيال السالفة مجتمعة. فان إخضـاع قـوى الطبيعة، واستخدام الآلات وتطبيق الكيمياء في الصناعة والزراعة، ثم الملاحة البخارية والسكك الحديدية والتلغراف الكهربائي، وهذه القارات الكاملة التي كانت بوراً فأخصبت، وهذه الأنهار والترع التي أصلحت وراحت البواخر تمخر عبابها، وهذه الشعوب التـي كأنما قذفتها من بطن الأرض قوة سحرية، – أي عصر سالف وأي جيل مضـى كـان يحلم بأن مثل هذه القوى المنتجة العظيمة كامنة في قلب العمل الاجتماعي!

وهكذا تبين لنا أن وسائل الإنتاج والتبادل التي قامت البرجوازيـــة علـــى أساســـها، نشأت داخل المجتمع الإقطاعي، ثم، لما بلغت هذه الوسائل حداً معيناً من التقدم والرقي، لم تعد الظروف التي كان المجتمع الإقطاعي ينتج ويبادل ضـــمنها، لـــم يعـــد التنظـــيم الإقطاعي للزراعة والصناعة، أي بكلمة واحدة، لم يعد النظام الإقطاعي للملكية يتفق مع القوى المنتجة في ملء تقدمها، بل أصبح يعرقل الإنتاج عوضاً عن تطويره، ثم تحـــول إلى قيود تكبله، وأصبح من الواجب تحطيم هذه القيود، فحطمت.

وحلت محلها المزاحمة الحرة، يرافقها نظام اجتماعي وسياسي يناســـبها، وقامـــت معها السيطرة الاقتصادية والسياسية للطبقة البرجوازية.

وتجري الآن أمام عيوننا حركة مماثلة لهـــذه. فـــان علاقـــات الإنتـــاج والتبـــادل البرجوازية وعلاقات الملكية البرجوازية، أي كل هذا المجتمع البرجوازي الحديث الـــذي خلق وسائل الإنتاج والتبادل العظيمة الهائلة أصبح يشبه الساحر الذي لا يـــدري كيـــف يقمع ويخضع القوى الجهنمية التي أطلقها من عقالها بتعاويذه. فليس تـــاريخ الصـــناعة والتجارة منذ بضع عشرات السنين سوى تاريخ تمرد القـــوى المنتجـــة الحديثـــة علـــى علاقات الإنتاج الحديثة، على علاقات الملكية التي يقـــوم عليهـــا وجـــود البرجوازيـــة وسيطرتها. ويكفي ذكر الأزمات التجارية التي تقع بصورة دورية وتهدد أكثـــر فـــأكثر وجود المجتمع البرجوازي بأسره. فكل أزمة من الأزمات لا تكتفي بإتلاف كميـــة مـــن المنتجات المصنوعة الجاهزة بل تقضي أيضاً على قسم كبير من القوى المنتجة القائمـــة نفسها. وينقض على المجتمع وباء لم يكن ليعتبر في جميع العهود السابقة سوى خرافـــة غير معقولة، – هذا الوباء، هو فيض الإنتاج. فيرتمي المجتمع فجأة في حالـــة همجيـــة حتى ليخيل للمرء أن هناك مجاعة أو حرباً طاحنة تقطع عن المجتمع وســـائل معيشـــته وموارد رزقه، وكأنما الصناعة والتجارة أتى عليهما الخراب والدمار. ولم ذلـــك؟ ذلـــك لأنه أصبح في المجتمع شيء كثير من المدنية، وكثير من وسائل العيش، وكثيـــر مـــن الصناعة والتجارة. ولم تعد القوى المنتجة الموجودة تحت تصرف المجتمع تساعد علـــى نمو علاقات الملكية البرجوازية وتقدمها، بل بالعكس أصبحت هذه القوى عظيمـــة جـــداً

بالنسبة لهذه العلاقات البرجوازية التي أضحت عائقاً في سبيل تقدمها وتوسعها. وكلما شرعت القوى المنتجة تتغلب على هذا العائق رمت المجتمع البرجوازي بأسره في الاضطراب والاختلال وهددت وجود الملكية البرجوازية بالانهيار. لقد أصبحت العلاقات البرجوازية أضيق من أن تستوعب الثروات الناشئة في قلبها. فكيف تتغلب البرجوازية على هذه الأزمات؟ تتغلب بالتدمير القسري لمقدار من القوى المنتجة من جهة، وبالاستيلاء على أسواق جديدة وزيادة استثمار الأسواق القديمة من جهة أخرى. بماذا إذن؟ بتحضير أزمات أعم وأهول، وتقليل الوسائل التي يمكن تلافي هذه الأزمات بها.

فالأسلحة التي استخدمتها البرجوازية للقضاء على الإقطاعية ترتد اليوم إلى صدر البرجوازية نفسها.

ولكن البرجوازية لم تصنع فقط الأسلحة التي سوف تقتلها، بل أخرجت أيضاً الرجال الذين سيستعملون هذه الأسلحة: وهم العمال العصريون، أو **البروليتاريون**.

تبعاً لتطور البرجوازية، أي لتطور الرأسمال، تتطور البروليتاريا، طبقة العمال العصريين الذين لا يعيشون إلا إذا وجدوا عملاً، ولا يجدونه إلا إذا كان عملهم هذا ينمي الرأسمال. وهؤلاء العمال المجبرون على بيع أنفسهم بالمفرق هم بضاعة، هم مادة تجارية كغيرها، يعانون كل تقلبات المزاحمة وكل تموجات السوق.

ونتيجة لاتساع استعمال الآلات ولتقسيم العمل، فقدَ عمل البروليتاريين كل صبغة شخصية، وأضاع بذلك كل جاذب، وأصبح العامل عبارة عن ملحق بسيط للآلة لا يطلب منه إلا القيام بعملية بسيطة رتيبة سهلة التلقين. وبذلك أصبح ما يكلفه العامل اليوم هو تقريباً ما تكلفه وسائل المعيشة اللازمة للاحتفاظ بحياته وتخليد نوعه. إلا أن ثمن العمل* كثمن كل بضاعة يساوي تكاليف إنتاجه. إذن كلما أصبح العمل باعثاً على الاشمئزاز، هبطت الأجور. وفوق ذلك ينمو، مع استخدام الآلة وتقسيم العمل، مجموع الجهد

* وقد بين ماركس فيما بعد أن العامل لا يبيع عمله، بل قوة عمله. راجع بهذا الصدد مقدمة أنجلس لكتاب ماركس "العلم المأجور والرأسمال". –**الناشر**.

المصروف في العمل، أما بازدياد ساعات العمل، وإما بزيادة الجهد المطلوب في مدة معينة من الزمن، أو بتعاظم سرعة حركة الآلات، إلخ..

إن الصناعة الحديثة حولت ورشة المعلم الحرفي البطريركي الصغيرة إلى مصنع كبير للصناعي الرأسمالي، وأخذت جماهير العمال المتكدسين في هذا المصنع يخضعون لتنظيم أشبه بالتنظيم العسكري. فهم جنود الصناعة البسيطون الخاضعون لسلسلة كاملة من كبار الضباط وصغارهم كأنهم في جيش عسكري. وهم ليسوا عبيد الطبقة البرجوازية والدولة البرجوازية فحسب، بل هم أيضاً في كل يوم وكل ساعة عبيد للآلة وللمناظر وللبرجوازي، صاحب المعمل نفسه بوجه خاص. وكلما تبين بصراحة أن الربح هو الهدف الوحيد لكل هذا الاستبداد، ازداد هذا الاستبداد بشاعة وقبحاً وإثارة للسخط والحفيظة.

وكلما قل تطلب العمل اليدوي للمهارة والقوة، أي كلما ترقت الصناعة الحديثة، استعيض عنه عمل الرجال بعمل النساء والأولاد. ولا تبقى للفروق في الجنس أو السن أهمية اجتماعية بالنسبة للطبقة العاملة، فليس ثمة سوى أدوات للعمل تتغير كلفتها حسب العمر والجنس.

ومتى انتهى العامل من مقاساة استثمار صاحب المعمل، وحسبت له أجرته، أصبحت فريسة لعناصر أخرى من البرجوازية: مالك البيت والبائع بالمفرق والمرابي، إلخ..

أما صغار الصناعيين التجار وأصحاب الايرادات والحرفيون والفلاحون، أي الدرجات السفلى من الطبقة المتوسطة، فيتدهورون إلى صفوف البروليتاريا، وذلك لأن رساميلهم الضعيفة لا تسمح لهم باستعمال أساليب الصناعة الكبرى، فيندحرون ويهلكون في مزاحمتهم لكبار الرأسماليين، ولأن مهارتهم الفنية تفقد قيمتها وأهميتها تجاه أساليب الإنتاج الجديدة، وعلى هذه الصورة تتجند البروليتاريا من كل طبقات السكان.

وتمر البروليتاريا في تطورها بمراحل مختلفة، ويبدأ نضالها ضد البرجوازية منذ نشأتها.

يقوم بالنضال، بادئ الأمر، عمال فرادى منعزلون، ثم يتكاتف عمال معمل واحد، ثم يضم النضال كل عمال الفرع الصناعي الواحد في محلة واحدة ضد البرجوازي الذي يستثمرهم بصورة مباشرة. ولا يكتفي العمال بتوجيه ضرباتهم إلى علاقات الإنتاج البرجوازية، بل يوجهونها أيضاً إلى أدوات الإنتاج نفسها، فيتلفون البضائع الأجنبية التي تزاحمهم، ويحطمون الآلات ويحرقون المصانع ويسعون إلى استعادة الوضع المضاع الذي كان يتمتع به العامل في القرون الوسطى باستعمال القوة.

وفي هذه المرحلة يكون العمال عبارة عن جماهير مبعثرة في البلاد تفتتها المزاحمة. وإذا اتفق أن ضم العمال صفوفهم في جموع متراصة، فلا يكون ذلك في هذا الدور نتيجة لوحدتهم الخاصة بهم، بل نتيجة لوحدة البرجوازية التي ينبغي لها، لكي تبلغ مراميها السياسية، أن تحرك البروليتاريا بأسرها، وهي ما تزال تملك القدرة على ذلك. وفي هذه المرحلة لا يحارب البروليتاريون أعداءهم بل أعداء أعدائهم، أي بقايا الحكم الملكي المطلق وكبار أصحاب الأراضي والبرجوازيين غير الصناعيين وصغار البرجوازيين. وهكذا تكون الحركة التاريخية كلها متمركزة في أيدي البرجوازية، وكل انتصار في هذه الظروف، يكون انتصاراً للبرجوازية.

إلا أن الصناعة، عندما تتقدم وتنمو، لا تضخم عدد البروليتاريين فقط، بل تمركزهم أيضاً وتضمهم في جماهير أوسع وأعظم، فتنمو قدرتهم ويدركون مدى هذه القوة. وتتساوى يوماً فيوماً مصالح البروليتاريين وظروف معيشتهم، تبعاً لما تقوم به الآلة من محو كل فرق في العمل ومن إنزال الأجرة في كل مكان تقريباً إلى مستوى متماثل في انخفاضه. ونظراً لنمو التزاحم فيما بين البرجوازيين، وما ينتج عن ذلك من الأزمات التجارية، تصبح أجور العمال يوماً بعد يوم أكثر تقلباً وأقل استقراراً؛ ويؤدي استمرار الإتقان في صنع الآلات بسرعة متزايدة على الدوام إلى جعل حالة العمال أكثر فأكثر عديمة الاستقرار، غير مضمونة؛ وتصطبغ المصادمات الفردية بين العامل والبرجوازي، شيئاً فشيئاً، بصبغة المصادمات بين طبقتين. ويبدأ العمال في تأليف الجمعيات ضد البرجوازيين من أجل الدفاع عن أجورهم. ويتقدمون في هذا السبيل

ويؤلفون جمعيات دائمة لكي يؤمنوا وسائل العيش لأنفسهم في حال وقوع اصـطدامات؛ وهنا وهناك ينفجر النضال بشكل انتفاضة.

وقد ينتصر العمال أحياناً، ولكن انتصارهم يكون قصير الأمد. والنتيجـة الحقيقيـة لنضالهم في هذا التضامن المتعاظم بين جميع الشغيلة، لا ذلك النجاح المباشـر الـوقتي. والذي يسهل تقدم هذا التضامن واشتداده هو نمو وسـائل المواصـلات التـي تخلقهـا الصناعة الكبرى والتي تسمح للعمال، في مختلف الجهات والمناطق، باتصـال بعضـهم ببعض. ويكفي هذا الاتصال بين العمال لتحويل النضالات المحلية المتعددة ذات الصبغة المتماثلة في كل مكان، إلى نضال طبقي واحد يشمل القطر بأسره. غير أن كل نضـال طبقي هو نضال سياسي. والاتحاد الذي كان سكان المدن في القرون الوسطى يقضـون قروناً لتحقيقه نظراً لطرقهم الوعرة الابتدائية، تحققه البروليتاريا الحديثة خـلال بضـع سنين فقط بفضل السكك الحديدية.

إلا أن انتظام البروليتاريا في طبقة، وبالتالي، في حزب سياسي، يحطمـه بصـورة مستمرة تزاحم العمال فيما بينهم. ولكن هذا الانتظام لا يختفي حتى يعود فيولد من جديد وهو دائماً أشد قوة وأكثر صلابة وأقوى بأساً، ويستفيد من انقسامات البرجوازيين فيمـا بينهم، فيجبرهم على جعل بعض مصالح الطبقة العاملة مشروعة معترفاً بها قانونياً، مثل قانون جعل مدة العمل اليومي عشر ساعات في انكلترا.

ان المصادمات التي تقع في المجتمع القديم تساعد بصورة عامة، وبشتى الصـور والأشكال، على تطور البروليتاريا وتقدمها. فان البرجوازية تعيش فـي حالـة حـرب مستمرة، في بادئ الأمر، ضد الارستقراطية، ثم ضد تلك الجماعات مـن البرجوازيـة نفسها التي تتناقض مصالحها مع رقي الصناعة، وبصورة دائمة ضد برجوازية الأقطار الأجنبية جميعاً. وترى البرجوازية نفسها مضطرة، في كل ميادين النضال هـذه، إلـى الالتجاء للبروليتاريا وطلب معونتها، فتجرها بذلك إلى مضمار الحركة السياسية. وهكذا تقدم البرجوازية بيديها إلى البروليتاريين عناصر ثقافتها، أي أنها تسلمهم السلاح الـذي سيحاربونها به.

أضف إلى كل ذلك ما رأيناه من أن جماعات كاملة من الطبقة الحاكمـــة تتـــدهور، بنتيجة تطور الصناعة وتقدمها، إلى طبقة البروليتاريا، أو تكون على الأقل مهـــددة فـــي ظروف معيشتها وشروط حياتها. فهذه الجماعات تحمل كذلك إلـــى البروليتاريـــا عـــدداً عديداً من عناصر الثقافة.

وأخيراً، عندما يقترب نضال الطبقات من الساعات الحاسمة الفاصلة، يتخذ انحـــلال الطبقة الحاكمة والمجتمع القديم بأسره طابعاً يبلغ من حدته وعنفه ان جزءاً صغيراً مـــن هذه الطبقة الحاكمة نفسها ينفصل عنها وينضم إلى الطبقة الثورية، إلى الطبقة التي تحمل في قلبها المستقبل. وكما انتقل فيما مضى قسم من النبلاء إلى جانب البرجوازية، كـــذلك في أيامنا هذه ينتقل قسم من البرجوازية إلى جانب البروليتاريا، وخصوصاً القسم المؤلف من البرجوازيين المفكرين الذين تمكنوا من الإحاطة بمجموع الحركة التاريخية وفهمهـــا بصورة نظرية.

وليس بين جميع الطبقات التي تقف الآن أمام البرجوازية وجهـــاً لوجـــه إلا طبقـــة واحدة ثورية حقاً، هي البروليتاريا. فأن جميع الطبقات الأخرى تنحط وتهلك مـــع نمـــو الصناعة الكبرى، أما البروليتاريا فهي، على العكس من ذلك، أخـــص منتجـــات هـــذه الصناعة.

ان الفئات المتوسطة، من صغار الصناعيين والباعة بالمفرق والحرفيين والفلاحين، تحارب البرجوازية من أجل الحفاظ على وجودها بوصفها فئات متوسطة. فهي ليســـت إذن ثورية، بل محافظة، وأكثر من محافظة أيضاً، أنها رجعية، فهي تطلـــب أن يرجـــع التاريخ القهقري ويسير دولاب التطور إلى الوراء. وإذا كنا نراها تقوم بأعمال ثوريـــة، فما ذلك إلا لخوفها من أن تتدهور إلى صفوف البروليتاريا، وهـــي إذ ذاك تـــدافع عـــن مصالحها المقبلة، لا عن مصالحها الحالية، وهي تتخلى عن وجهة نظرها الخاصة لتتخذ لنفسها وجهة نظر البروليتاريا.

أما رعاع المدن، هذه الحشرات الجامدة، حثالة أدنى جماعات المجتمع القديم، فقد تجرهم ثورة البروليتاريا إلى الحركة، ولكن ظروف معيشتهم وأوضاع حياتهم تجعلهم أكثر استعداداً لبيع أنفسهم إلى المكائد الرجعية.

أن ظروف معيشة المجتمع القديم قد اضمحلت ولم يبق لها أثر في ظروف معيشة البروليتاريا. فالبروليتاري محروم من الملكية، وليست هناك أية صفة مشتركة بين علاقاته العائلية وعلاقات العائلة البرجوازية. والعمل الصناعي الحديث الذي يضم في طياته استعباد العامل من قبل الرأسمال، قد جرد العامل، سواء في إنكلترا أو فرنسا أو أميركا أو ألمانيا، من كل صبغة وطنية، وما القوانين والقواعد الأخلاقية والأديان بالنسبة إليه إلا أوهام برجوازية تستتر خلفها مصالح برجوازية.

إن كل الطبقات التي كانت تستولي على السلطة فيما مضى، كانت تحاول تثبيت أوضاعها المكتسبة بإخضاع المجتمع بأسره لأسلوب التملك الخاص بها. ولا تستطيع البروليتاريا الاستيلاء على القوى المنتجة الاجتماعية إلا بهدم كل أسلوب التملك الخاص بها حالياً، وبالتالي بهدم كل أسلوب للتملك مرعي الإجراء إلى يومنا هذا. ولا تملك البروليتاريا شيئاً خاصاً بها حتى تصونه وتحميه، فعليها إذن أن تهدم كل ما كان يحمي ويضمن الملكية الخاصة.

وكانت الحركات إلى يومنا هذا كلها حركات قامت بها أقليات أو جرت في مصلحة الأقليات. أما حركة البروليتاريا فهي حركة قائمة بذاتها للأكثرية الساحقة في سبيل مصلحة الأكثرية الساحقة. والبروليتاريا، التي هي طبقة سفلى في المجتمع الحالي، لا يمكنها أن تهب وتقوم عودها إلا إذا نسفت كل الطبقات المتراكب بعضها فوق بعض والتي تؤلف المجتمع الرسمي.

وبالرغم من أن نضال البروليتاريا ضد البرجوازية ليس في أساسه نضالاً وطنياً، فهو مع ذلك يتخذ هذا الشكل في بادئ الأمر. إذ لا حاجة للقول أن على البروليتاريا في كل قطر من الأقطار أن تقضي قبل كل شيء على برجوازيتها الخاصة.

أننا، إذ وصفنا مراحل تطور البروليتاريا، بخطوطها الكبرى، قد أوردنا في الوقت نفسه تاريخ الحرب الأهلية، المستترة إلى حد ما والتي لا تنفك تأكل المجتمع وتنخره حتى الساعة التي تنفجر فيها هذه الحرب بشكل ثورة علنية، وتؤسس البروليتاريا سيطرتها بعد القضاء على البرجوازية بالشدة والعنف.

ان كل المجتمعات السالفة قامت، كما رأينا، على التناحر بين الطبقات المضطهِدة والمضطهَدة. ولكن لأجل اضطهاد طبقة ما ينبغي على الأقل أن يكون في الاستطاعة تأمين شروط معيشة لها تمكنها من الحياة تحت وطأة الاستعباد والاضطهاد. فقد كان القن في عهد القنانة يتوصل لأن يصبح عضواً في إحدى الكومونات، وكذلك البرجوازي الصغير (Kleinburger) حتى تحت أشد أنواع الاستبداد الإقطاعي، كان يتوصل إلى مرتبة البرجوازي. أما العامل في عصرنا فهو على عكس ذلك تماماً؛ فعوضاً عن أن يرتفع ويرقى مع رقي الصناعة، لا ينفك يهوى في انحطاط، إلى أن ينزل إلى مستوى هو أدنى وأحط من شروط حياة طبقته نفسها. ويسقط الشغيل في مهاوي الفاقة، ويزداد الفقر والإملاق بسرعة تفوق سرعة ازدياد السكان ونمو الثروة. فمن البين إذن أن البرجوازية لا يبقى بوسعها أن تقوم بدورها كطبقة حاكمة وأن تفرض على المجتمع شروط حياة طبقتها وأوضاع حياتها كقانون أعلى. أنها لم تعد تستطيع أن تحكم، إذ لم يعد في إمكانها أن تؤمن لعبدها حتى معيشة تتلاءم مع عبوديته، وهي مجبرة على أن تدعه ينحط إلى درجة يصبح معها من واجبها هي أن تطعمه بدلاً من أن تطعم نفسها بواسطته. فلم يعد من الممكن أن يحيا المجتمع تحت سيادتها وسيطرتها، أي بعبارة أخرى أصبح وجود البرجوازية منذ الآن فصاعداً غير متلائم مع وجود المجتمع.

أن الشرط الأساسي للوجود والسيادة بالنسبة للطبقة البرجوازية هو تكديس الثروة في أيدي بعض الأفراد وتكوين الرأسمال وإنماؤه. وشرط وجود الرأسمال هو العمل المأجور. والعمل المأجور يرتكز، بصورة مطلقة، على تزاحم العمال فيما بينهم. ورقي الصناعة الذي ليست البرجوازية إلا خادماً منفعلاً له ومقسوراً على خدمته يستعيض عن انعزال العمال الناتج عن تزاحمهم، باتحاد ثوري بواسطة الجمعيات. وهكذا ينتزع تقدم

الصناعة الكبرى من تحت أقدام البرجوازية نفس الأسس التي شادت عليها نظام إنتاجهـــا وتملكها. ان البرجوازية تنتج قبل كل شـــيء حفـــاري قبرهـــا، فســـقوطها وانتصـــار البروليتاريا كلاهما أمر محتوم لا مناص منه.

٢

البروليتاريون والشيوعيون

ما هو موقف الشيوعيين بالنسبة إلى مجموع البروليتاريا؟
ان الشيوعيين لا يؤلفون حزباً خاصاً معارضاً لأحزاب العمال الأخرى.
وليست لهم مصالح منفصلة عن مصالح البروليتاريا بمجموعها.
وهم لا يدعون إلى مبادئ خاصة يريدون تكييف الحركة البروليتارية في قالبها.
ان الشيوعيين لا يتميزون عن بقية الأحزاب البروليتارية إلا في نقطتين هما:

١- في النضالات التي يقوم بها البروليتاريون من مختلف الأمم، يضع الشيوعيون في المقدمة ويبرزون المصالح المستقلة عن الجنسية والعامة الشاملة لمجموع البروليتاريا.

٢- في مختلف مراحل التطور التي يمر بها النضال بين البروليتاريين والبرجوازيين يمثل الشيوعيون دائماً، المصالح العامة للحركة بكاملها.

فالشيوعيون هم إذن، من الناحية العملية، أحزم فريق من أحزاب العمال في جميع البلدان وأشدها عزيمة، الفريق الذي يدفع إلى الأمام كل الفرق الأخرى. وهم من الوجهة النظرية يمتازون عن بقية البروليتاريين بادراك واضح لظروف حركة البروليتاريا وسيرها ونتائجها العامة.

أما هدف الشيوعيين المباشر فهو الهدف نفسه الذي ترمي إليه جميع الأحزاب البروليتارية، أي: تنظيم البروليتاريين في طبقة وهدم سيادة البرجوازية واستيلاء البروليتاريا على السلطة السياسية.

ومفهومات الشيوعيين النظرية لا ترتكز مطلقاً على أفكار أو مبادئ اكتشفها أو اخترعها مصلح من مصلحي العالم.

فما هي سوى التعبير الإجمالي عن الظروف الواقعية لنضال طبقي موجود ولحركة تاريخية تتطور من ذاتها أمام عيوننا وليس هدم علاقات الملكية القائمة هو الطابع المميز للشيوعية.

فقد كابدت علاقات الملكية تغييرات متتابعة وتقلبات تاريخية مستمرة.

فالثورة الفرنسية مثلاً قضت على الملكية الإقطاعية لمصلحة الملكية البرجوازية.

فليس الذي يميز الشيوعية هو محو الملكية بصورة عامة، بل هو محو الملكية البرجوازية.

غير أن الملكية الخاصة في الوقت الحاضر، أي الملكية البرجوازية، هي آخر وأكمل تعبير عن أسلوب الإنتاج والتملك، المبني على تناقضات الطبقات واستثمار بعض الناس لبعضهم الآخر.

وعلى هذا، باستطاعة الشيوعيين أن يلخصوا نظريتهم بهذا الصدد في هذه الصيغة الوحيدة وهي: القضاء على الملكية الخاصة.

ويأخذون علينا، نحن الشيوعيين، أننا نريد محو الملكية المكتسبة شخصياً بالعمل، هذه الملكية التي يصرحون أنها أساس كل حرية وكل نشاط وكل استقلال فردي.

الملكية، ثمرة العمل والكفاءة! هل يعنون بذلك هذا الشكل من الملكية، السابق للملكية البرجوازية، أي ملكية البرجوازي الصغير والفلاح الصغير؟ إن كانت هذه الملكية التي يعنونها، فليس لنا، نحن الشيوعيين، أن نمحوها ونزيلها، لأن رقي الصناعة قد محاها أو يمحوها يوماً بعد يوم.

أم تراهم يعنون الملكية الخاصة البرجوازية الحالية؟

ولكن هل يخلق العمل المأجور ملكية للبروليتاري؟ كلا! بل هو يخلق الرأسمال، أي الملكية التي تستثمر العمل المأجور، والتي لا يمكن أن تنمو إلا بشرط أن تنتج أيضاً

وأيضاً عملاً مأجوراً لتستثمره من جديد. فالملكية في شكلها الحالي تتحرك بين هذين الطرفين المتناقضين: الرأسمال والعمل المأجور. فلنبحث كلاً من طرفي هذا التناقض.

ان كون المرء رأسمالياً يعني أنه لا يشغل مركزاً شخصياً فحسب، بل كذلك مركزاً اجتماعياً في الإنتاج. الرأسمال هو نتاج جماعي، فهو لا يمكن أن يدار ويشغل إلا بجهود متضافرة يبذلها كثير من الأفراد، بل هو في آخر تحليل لا يدار ويشغل إلا بالجهود المشتركة لجميع أعضاء المجتمع.

فليس الرأسمال قوة شخصية إذن، بل هو قوة اجتماعية.

وعليه، إذا تحول الرأسمال إلى ملك مشترك يخص جميع أعضاء المجتمع، فلا يكون معنى ذلك أن ثمة ملكية شخصية قد تحولت إلى ملكية اجتماعية، بل كل ما هنالك أن الصفة الاجتماعية للملكية تكون قد تغيرت، أي تفقد الملكية صفتها الطبقية.

ولننتقل الآن إلى العمل المأجور.

ان الثمن المتوسط الذي يشترى به العمل المأجور، هو الحد الأدنى للأجرة، أي مجموع وسائل المعيشة اللازمة للعامل لكي يعيش كعامل. وينتج من ذلك أن ما يستملكه العامل المأجور بجهده وكده لا يساوي إلا ما يلزمه بالضرورة للاحتفاظ بوجوده الهزيل وللإبقاء على نوعه. فنحن لا نريد أبداً ولا بشكل من الأشكال، محو هذا التملك الشخصي لمنتجات العمل، هذا التملك الضروري لحفظ الحياة البشرية وتكثيرها؛ فأن هذا التملك لا يترك أقل فائض يتسلط المرء بواسطته على عمل غيره. أما الذي نريده فهو محو أسلوب التملك الكئيب المظلم الذي يجعل العامل لا يحيا إلا لأجل إنماء الرأسمال، ولا يحيا إلا بمقدار ما تتطلبه مصالح الطبقة الحاكمة فقط.

في المجتمع البرجوازي ليس العمل الحي إلا وسيلة لإنماء العمل المتراكم. أما في المجتمع الشيوعي فليس العمل المتراكم إلا وسيلة لتفريج حياة الشغيلة واغنائها وترفيهها.

وهكذا، في المجتمع البرجوازي: الماضي يسيطر على الحاضر. وفي المجتمع الشيوعي: الحاضر يسيطر على الماضي. في المجتمع البرجوازي الرأسمال مستقل وشخصي في حين أن الفرد الذي يعمل تابع لغيره ومحروم من شخصيته.

فهدم هذه الحالة تعيبه وتشجبه البرجوازية وتزعم أنه هدم للشخصية والحرية! وهي على حق فيما تزعم، لأن هذا الهدم هو في الحقيقة هدم للشخصية البرجوازية وللاستقلال البرجوازي وللحرية البرجوازية.

انهم يعنون بالحرية، في الظروف الحالية للإنتاج البرجوازي، حرية التجارة، حرية الشراء والبيع.

ولكن إذا تلاشت التجارة، تلاشت التجارة الحرة أيضاً. غير أن جميع الكلمات الضخمة التي ترددها برجوازيتنا عن حرية التجارة وكل تصلفها وأنتفاخها وغطرستها حول الحريات، لا معنى لها إلا إذا قوبلت بالتجارة المقيدة والبرجوازي المستعبد في القرون الوسطى، ولا يبقى لها أقل معنى أو دلالة عندما تدور المسألة حول ما ترمي إليه الشيوعية من إزالة التجارة وعلاقات الإنتاج البرجوازية والبرجوازية نفسها.

يهو لكم ويروعكم أننا نريد محو الملكية الخاصة! ولكن في مجتمعكم هذا ذاته تسعة أعشار أعضائه محرومون من أية ملكية خاصة، وإذا كانت هذه الملكية موجودة فلأن هؤلاء الأعشار التسعة محرومة منها. فأنتم تأخذون علينا أذن أننا نريد محو شكل للملكية، شرط وجوده أن تكون الأكثرية الساحقة محرومة من كل ملكية.

أي بكلمة، تتهموننا بأننا نريد محو ملكيتكم أنتم. وحقاً هذا الذي نريد.

وما أن يغدو من المستحيل أن يتحول العمل إلى رأسمال ونقد وريع عقاري، أي إلى قوة اجتماعية قابلة للاحتكار، أو بعبارة أخرى، ما أن يصبح من المستحيل أن تتحول الملكية الفردية إلى ملكية برجوازية، حتى تزأرون وتصيحون بأن الفرد قد أمحى وأبيد.

فأنتم تعترفون إذن أنكم، عندما تتكلمون عن الفرد، لا تعنون بكلامكم إلا البرجوازي، أي المالك البرجوازي. وبالفعل ان هذا الفرد يجب أن يباد ويمحى نهائياً.

ان الشيوعية لا تسلب أحداً القدرة على تملك منتجات اجتماعية، انها لا تنزع سوى القدرة على استعباد عمل الغير بواسطة هذا التملك.

ويعترضون علينا بقولهم: ان محو الملكية الخاصة يؤدي إلى توقف كل نشاط وانتشار كسل يعم العالم بأسره.

ولو كان ذلك كذلك، لكان المجتمع البرجوازي قد سقط منذ أمد طويل في بؤرة الكسل والخمول، ما دام الذين يشتغلون في هذا المجتمع لا يمتلكون، والذين يمتلكون لا يشتغلون. وهكذا يؤول كل اعتراضهم إلى تكرار ممل للحقيقة التالية وهي: حيث لا يبقى الرأسمال، لا يبقى عمل مأجور.

وجميع التهم الموجهة إلى الأسلوب الشيوعي في إنتاج واستملاك المنتجات المادية وجهت إلى إنتاج واستملاك منتجات الفكر أيضاً؛ فكما أن زوال الملكية الطبقية يعادل بالنسبة للبرجوازي زوال كل إنتاج، كذلك زوال الثقافة الطبقية يعني بالنسبة إليه زوال كل ثقافة.

غير أن هذه الثقافة التي يبكي البرجوازي وينتحب على فقدها، ما هي عند الأكثرية الساحقة إلا تدريباً على عمل مثل الآلة.

ولكن لا فائدة من مماحكتكم لنا، إذا كان قصدكم من ذلك أن تطبقوا على محو الملكية البرجوازية معيار مفهوماتكم البرجوازية عن الحرية والثقافة والحق، الخ.. ان أفكاركم نفسها ناتجة عن علاقات الإنتاج البرجوازية وعلاقات الملكية البرجوازية، كما أن الحق لديكم ليس إلا إرادة طبقتكم مخطوطة بشكل قانون، هذه الإرادة التي تحدد فحواها ومبناها ظروف الحياة المادية لطبقتكم.

ان مفهوماتكم المغرضة تدفعكم إلى جعل العلاقات الاجتماعية المتولدة عن أسلوبكم في الإنتاج وعلاقات الملكية – هذه العلاقات التاريخية التي يمحوها سير الإنتاج نفسه – قوانين طبيعية وعقلية، خالدة أبدية. ولستم منفردين بهذه المفهومات، بل سبقتكم إليها كل الطبقات الحاكمة التي زالت اليوم. ولكن ما تقبلونه وتقرونه بالنسبة للملكية القديمة، ما تقبلونه وتقرونه فيما يتعلق بالملكية الإقطاعية، لم يعد في إمكانكم أن تقبلوه بالنسبة للملكية البرجوازية.

هدم العائلة! حتى أشد الراديكاليين تطرفاً تسخطهم نية الشيوعيين هذه، الفاضحة المرذولة.

ولكن، على أية قاعدة ترتكز العائلة البرجوازية في الوقت الحاضر؟ انها ترتكز على الرأسمال والربح الفردي. وهي، بكامل كيانها وتمام بنيانها، ليست موجودة إلا عند البرجوازية فقط. ولكن تتمتها هي الإلغاء القسري للعائلة بالنسبة للبروليتاري، ثم البغاء العلني.

إن العائلة البرجوازية تضمحل طبعاً باضمحلال تتمتها هذه. وكلتاهما، العائلة البرجوازية وتتمتها، تتلاشيان بتلاشي الرأسمال.

أتأخذون علينا أننا نريد القضاء على استثمار الأبناء من قبل أهلهم وذويهم؟ إن كان ذلك فنحن نعترف بهذه الجريمة.

وتزعمون أننا نحطم أقدس الأواصر والصلات بإبدالنا التربية في العائلة بالتربية في المجتمع.

ولكن تربيتكم أنتم، أليس المجتمع أيضاً هو الذي يحددها؟ أليست تحددها العلاقات الاجتماعية التي تربون فيها أولادكم؟ ألا يحددها تدخل المجتمع بصورة مباشرة أو غير مباشرة بواسطة المدرسة، الخ.؟ ان تدخل المجتمع في التربية ليس من ابتكار الشيوعيين. فكل ما يفعله الشيوعيون أنهم يغيرون طبيعة التربية ويحورون صفتها وشكلها وينتزعونها من تأثير الطبقة الحاكمة ونفوذها.

ان تشدق البرجوازيين الفارغ عن العائلة والتربية وعن الأواصر والصلات العذبة التي تربط الولد بأهله، أصبحت تقزّ منه النفس أكثر فأكثر، إذ أن الصناعة الكبرى تهدم كل صلة عائلية عند البروليتاريا وتحول الأولاد إلى مواد تجارية بسيطة وأدوات عمل صرف.

والآن اسمعوا البرجوازية تصيح من كل جانب: "انكم أيها الشيوعيون تريدون إشاعة المرأة".

ليست امرأة البرجوازي عنده سوى أداة إنتاج بسيطة، وهو يسمع أن أدوات الإنتاج يجب أن تكون مشتركة، فيستنتج من ذلك بالطبع أن النساء أنفسهن سوف يسري عليهن ذلك.

ولا يدخل في وهم البرجوازي أن المسألة هي على العكس تماماً، وأننا نريد إعطاء المرأة دوراً غير هذا الدور الذي تقوم به الآن كأداة إنتاج بسيطة.

ولشد ما يضحكنا هذا الذعر فوق الأخلاقي الذي توحيه إلى البرجوازيين إشاعة النساء الرسمية التي يزعمون أن الشيوعيين يدعون إليها. ليست بالشيوعيين حاجة إلى إدخال إشاعة النساء، فهي تقريباً كانت دائماً موجودة.

ولا يكتفي البرجوازيون بأن تكون تحت تصرفهم نساء البروليتاريين وبناتهم — هذا عدا البغاء الرسمي — بل يجدون لذة خاصة في إغواء بعضهم لنساء بعض.

ليس الزواج البرجوازي في الحقيقة والواقع سوى إشاعة النساء المتزوجات. فقصارى ما يمكن أن يتهم به الشيوعيون إذن هو أنهم يريدون، كما يزعم، الاستعاضة عن إشاعة النساء المستترة بالرياء والمغطاة بالمداجاة، بإشاعة صريحة رسمية. ولكن من البديهي الواضح أن محو علاقات الإنتاج الحالية يؤدي، بطبيعة الحال، إلى محو إشاعة النساء التي تنتج منها، أي أن البغاء، سواء أكان رسمياً أم غير رسمي، يضمحل ويزول.

ويتهمون الشيوعيين، عدا ذلك، بالرغبة في إلغاء الوطن والقومية.

ليس للعمال وطن، فليس في الاستطاعة إذن سلبهم ما لا يملكون. وبما أن على البروليتاريا أن تستولي أولاً على السلطة السياسية، وأن تشيد نفسها بحيث تغدو الطبقة القائدة للأمة، وأن تصبح هي الأمة، فهي لا تزال بعد اذن وطنية، ولكن ليس بالمعنى البرجوازي لهذه الكلمة.

وها هي الفواصل الوطنية والتناقضات بين الشعوب تزول يوماً بعد يوم تبعاً لتطور البرجوازية، وحرية التجارة، والسوق العالمية، وتشابه الإنتاج الصناعي وشروط المعيشة الناجمة عن ذلك.

وعندما تستولي البروليتاريا على الحكم تعمل لإزالتها أكثر أيضاً. فان نضال البروليتاريا نضالاً مشتركاً يشمل الأقطار المتمدنة على الأقل، هو أحد الشروط الأولية لتحررها.

أزيلوا استثمار الإنسان للإنسان، تزيلوا استثمار أمة لأخرى.

وعندما يزول تناحر الطبقات في قلب كل أمة يزول في الوقت نفسه العداء والحقد بين الأمم.

أما التهم الأخرى الموجهة إلى الشيوعية من وجهات نظر دينية وفلسفية، وبوجه عام، من وجهات نظر فكرية، فهي لا تستحق بحثاً عميقاً مستفيضاً.

إذ هل يحتاج المرء إلى تعمق كبير ليدرك أن نظرات الناس ومفهوماتهم وتصوراتهم الفكرية، أو بالاختصار إدراكهم، يتغير مع كل تغيير يطرأ على ظروف حياتهم وعلاقاتهم الاجتماعية وشروط معيشتهم الاجتماعية؟

وهلا يبرهن تاريخ الأفكار على أن الإنتاج الفكري يتبدل ويتحور مع تبدل الإنتاج المادي وتحوره؟ فالأفكار والآراء السائدة في عهد من العهود لم تكن سوى أفكار الطبقة السائدة وآرائها.

وحينما يتحدثون عن أفكار تؤثر تأثيراً ثورياً في مجتمع بأسره، إنما يعبرون في الحقيقة عن هذا الحادث وهو أنه تشكلت في قلب المجتمع القديم عناصر مجتمع جديد، وان انحلال الأفكار القديمة يسير جنباً إلى جنب مع انحلال ظروف المعيشة القديمة.

فحينما كان العالم القديم على أعتاب السقوط والزوال، انتصر الدين المسيحي على الأديان الأخرى القديمة، وحينما تركت الأفكار المسيحية محلها في القرن الثامن عشر لأفكار الرقي الجديدة، كان المجتمع الإقطاعي يقوم إذ ذاك بمعركته الأخيرة ضد البرجوازية التي كانت حينذاك ثورية، ولم يكن ظهور الأفكار القائلة بحرية المعتقد والحرية الدينية إلا إيذانا بسيطرة المزاحمة الحرة في ميدان العقائد.

وقد يقولون: "نعم، ان الأفكار الدينية والأخلاقية والفلسفية والسياسية والحقوقية وما اليها قد طرأ عليها التعديل خلال التطور التاريخي، ولكن الدين والأخلاق والفلسفة والسياسة والحقوق كانت مع ذلك تحافظ دائماً على بقائها خلال هذا التحول المستمر.

وهنالك فوق ذلك حقائق أبدية، مثل الحرية والعدالة، الخ.، وهي واحدة مشتركة في جميع مراحل التطور الاجتماعي. أما الشيوعية فهي تلغي الحقائق الأبدية، تلغي الدين والأخلاق عوضاً عن تجديدها؛ فهي تناقض إذن كل التطور التاريخي السابق".

ففيم تتلخص هذه التهمة؟ ان تاريخ كل مجتمع حتى الآن قائم على التناحر بين الطبقات. وقد اتخذ التناحر أشكالاً مختلفة حسب العهود.

ولكن مهما كان الشكل الذي اتخذه هذا التناحر، فقد كان هنالك دائماً شئ مشترك بين جميع العصور السالفة، وهو استثمار قسم من المجتمع لقسم أخر منه. فلا غرابة إذن في أن نرى الإدراك الاجتماعي في جميع العصور، رغم كل اختلاف وكل تنوع، يتطور ضمن أشكال مشتركة معينة، أشكال للإدراك لن تنحل تماماً إلا بزوال التناحر بين الطبقات زوالاً تاماً.

ان الثورة الشيوعية تقطع من الأساس كل رابطة مع علاقات الملكية التقليدية؛ فلا عجب إذن أن هي قطعت بحزم أيضاً، أثناء تطورها، كل رابطة مع الأفكار والآراء التقليدية.

ولكن لندع الآن جانباً ما تبديه البرجوازية من الاعتراضات على الشيوعية.

ان الخطوة الأولى في ثورة العمال هي، كما رأينا، تحول البروليتاريا إلى طبقة سائدة، والظفر بالديموقراطية.

وستستخدم البروليتاريا سيادتها السياسية لأجل انتزاع الرأسمال من البرجوازية شيئاً فشيئاً، ومركزة جميع أدوات الإنتاج في أيدي الدولة، أي في أيدي البروليتاريا المنظمة في طبقة حاكمة، وزيادة كمية القوى المنتجة وإنمائها بأسرع ما يمكن.

ولا يتم ذلك طبعاً في بادئ الأمر إلا بخرق حق التملك وعلاقات الإنتاج البرجوازية بالشدة والعنف، أي باتخاذ تدابير تتراءى من الوجهة الاقتصادية غير كافية

ولا مأمونة البقاء، ولكنها تتعاظم وتتجاوز نفسها بنفسها خلال الحركة وتكون ضرورية لا غنى عنها كوسيلة لقلب أسلوب الإنتاج بأسره.

وستختلف هذه التدابير، طبعاً، في مختلف الأقطار.

غير أنه يمكن تطبيق التدابير التالية، بصورة عامة تقريباً في أكثر البلاد تقدماً ورقياً:

١- نزع الملكية العقارية وتخصيص الريع العقاري لتغطية نفقات الدولة.

٢- فرض ضرائب متصاعدة جداً.

٣- إلغاء الوراثة.

٤- مصادرة أملاك جميع المهاجرين والعصاة المتمردين.

٥- مركزة التسليف كله في أيدي الدولة بواسطة مصرف وطني رأسماله للدولة ويتمتع باحتكار تام مطلق.

٦- مركزة جميع وسائل النقل في أيدي الدولة.

٧- تكثير المصانع التابعة للدولة وأدوات الإنتاج وإصلاح الأراضي البور وتحسين الأراضي المزروعة حسب منهاج عام.

٨- جعل العمل إجبارياً للجميع على السواء وتنظيم جيوش صناعية، وذلك لأجل الزراعة على الخصوص.

٩- الجمع بين العمل الزراعي والصناعي واتخاذ التدابير المؤدية تدريجياً إلى محو الفرق بين المدينة والريف.

١٠- جعل التربية عامة ومجانية لجميع الأولاد ومنع تشغيل الأحداث في المصانع كما يجري اليوم، والتوفيق بين التربية وبين الإنتاج المادي، إلخ..

وما أن تختفي الفوارق الطبقية وتزول خلال سير التطور، ويصبح كل الإنتاج متمركزاً في أيدي جمعية واسعة تشمل الأمة بأسرها، حتى تفقد السلطة العامة صبغتها السياسية. إذ أن السلطة السياسية بالمعنى الصحيح هي السلطة المنظمة لطبقة من أجل اضطهاد طبقة أخرى. فإذا كانت البروليتاريا، في نضالها ضد البرجوازية، تبني نفسها

حتماً في طبقة، وإذا كانت تجعل نفسها بواسطة الثورة طبقة حاكمة، ثم بصفتها طبقة حاكمة، تهدم بالعنف والشدة علاقات الإنتاج القديمة، فانها بهدمها علاقات الإنتاج القديمة تهدم في الوقت نفسه ظروف وجود التناقض والتناحر بين الطبقات وتهدم الطبقات بصورة عامة، وبذلك تهدم أيضاً سيادتها ذاتها من حيث هي طبقة.

وعلى أنقاض المجتمع البرجوازي القديم بطبقاته وتناقضاته الطبقية يبرز مجتمع جديد تكون حرية التطور والتقدم لكل عضو فيه شرطاً لحرية التطور والتقدم لجميع الأعضاء.

٣

الأدب الاشتراكي والشيوعي

١- الاشتراكية الرجعية

أ- الاشتراكية الإقطاعية

كتبت الارستقراطية الفرنسية والإنكليزية كثيراً من الرسائل الهجائية في ذم المجتمع البرجوازي الحديث، مدفوعة إلى ذلك بحكم وضعيتها التاريخية، إذ أنها في الثورة الفرنسية في تموز (يوليو) عام ١٨٣٠ وكذلك في حركة الإصلاح الإنكليزية، كانت قد غلبت على أمرها مرة أخرى وتداعت تحت ضربات الوافد الجديد البغيض المكروه. فلم يعد في إمكانها القيام بنضال سياسي جدي، لم يبق لها سوى النضال الأدبي؛ ولكن في الميدان الأدبي أيضاً لم يعد يقام وزن للعبارات المبهرجة الفارغة التي كانت سوقها رائجة في عهد عودة الملكية*. فلكيما تتمكن الارستقراطية من إيجاد من يعطف عليها، كان عليها أن تتظاهر بأنها لا تهتم بمصالحها الخاصة، وأنها توجه اتهاماتها إلى البرجوازية غيرة منها على مصلحة الطبقة العاملة المستثمرة فحسب، وعلى هذه الصورة كانت تؤمن لنفسها لذة السخر بسيدها الجديد والدمدمة في أذنه بنبوءات النحس والشؤم عن مستقبل أيامه.

وهكذا نشأت الاشتراكية الإقطاعية مزيجاً من الشكاوى والاهاجي، من ذكريات الماضي وأخطار المستقبل. وإذا كان انتقادها المر اللاذع البارع يصيب البرجوازية أحياناً في صميم قلبها، فان عجزها المطلق عن فهم سير التاريخ الحديث كان يسبل عليها دوماً من السخافة والسخرية.

---

* ليس المقصود هنا عودة الملكية في انكلترا ١٦٦٠ – ١٦٨٩، بل في فرنسا ١٨١٤ – ١٨٣٠. **(ملاحظة أنجلس للطبعة الانكليزية عام ١٨٨٨).**

وقد لوح الارستقراطيون بجراب البروليتاريا الشحاذي واتخذوه علماً لهم لكي يقودوا الشعب وراءهم. ولكن ما أن تراكض الشعب نحوهم حتى رأى الشعارات الإقطاعية القديمة تزين مؤخرتهم، فتولى عنهم وهو يقهقه قهقهة السخر والاستخفاف.

وقد مثل هذا المشهد أمام العالم قسم من الليجيتيميين الفرنسيين وكذلك "انكلترا الفتاة"*.

وعندما يبرهن الإقطاعيون أن أسلوب الاستثمار الإقطاعي كان غير أسلوب الاستثمار البرجوازي، لا ينسون إلا شيئاً واحداً هو أن الإقطاعية كانت تستثمر ضمن شروط وظروف أخرى تلاشت اليوم ومضى زمانها. وكذلك عندما يلاحظون أن البروليتاريا الحديثة لم تكن موجودة في ظل حكمهم، لا ينسون أيضاً إلا شيئاً واحداً هو أن البرجوازية الحديثة نفسها ليست سوى الوليدة الضرورية لنظامهم الاجتماعي.

وتظهر، من جهة أخرى، الطبيعة الرجعية لانتقاداتهم في كون أهم ما يلومون البرجوازية عليه أنها خلقت في عهدها طبقة سوف تهدم كل النظام الاجتماعي القديم.

انهم لا يجرمون البرجوازية لأنها أنتجت البروليتاريا، بمقدار ما يجرمونها لان هذه البروليتاريا التي أنتجتها هي ثورية.

وعليه فانهم في النضال السياسي يساهمون في جميع تدابير العنف والشدة ضد الطبقة العاملة. وتراهم كذلك في حياتهم العادية بالرغم من عباراتهم المبهرجة المنتفخة، ينحنون لالتقاط الثمار الذهبية التي تنثرها شجرة الصناعة، ويبيعون الشرف والحب والوفاء بالصوف وسكر الشمندر وكأس الخمرة*.

---

* الليجيتيميون ("الشرعيون") – حزب من النبلاء مالكي الأراضي، أنصار عودة آل بوربون إلى الحكم في فرنسا، تأسس بعد ثورة تموز (يوليو) ١٨٣٠. "انكلترا الفتاة" – جماعة من الارستقراطيين الانكليز نشأت حوالي ١٨٤٢ وكانت تضم نفرا من الساسة والأدباء من مؤيدي حزب المحافظين. ومن أبرز أعضائها ديزرائيلي وتوماس كارليل. –**الناشر**.

* وهذا ينطبق، بالدرجة الأولى على ألمانيا، حيث الارستقراطيون الزراعيون وكبار أصحاب الأراضي الألمان يشرفون على إدارة الشؤون الاقتصادية في القسم الأكبر من أراضيهم على حسابهم الخاص بواسطة الوكلاء، ويملكون، علاوة على ذلك، معامل كبيرة للسكر والخمور. أما الارستقراطيون الانكليز

وكما كان الكاهن والإقطاعي يسيران دوما يداً بيد، كذلك تسير الاشتراكية الكهنوتية جنباً لجنب مع الاشتراكية الإقطاعية.

وليس أسهل من أن يطلى النسك والزهد المسيحي بطلاء من الاشتراكية. أفلم تـدع المسيحية أيضاً ضد الملكية الخاصة والزواج والدولة؟ ألم تبشر، عوضاً عنها، بالمحبـة والإحسان والأسمال الرثة والتبتل وقتل الجسـد والتقشـف والرهبانيـة والكنيسـة؟ ان الاشتراكية المسيحية ليست سوى الماء المقدس الذي يسكبه الكاهن علـى نـار الغـيظ المتأججة بين جوانح الارستقراطية.

ب – الاشتراكية البرجوازية الصغيرة

ليست الارستقراطية الإقطاعية الطبقة الوحيدة التي هدمتها البرجوازية ولا الطبقـة الوحيدة التي تنحل ظروف معيشتها وتفنى شيئاً فشيئاً في المجتمع البرجوازي الحـديث. كان سكان المدن وصغار الفلاحين في القرون الوسطى أسلاف البرجوازية الحديثة. وفي البلاد المتأخرة صناعتها وتجارتها لا تزال هذه الطبقة تحيا حياة الضيق والشـقاء إلـى جانب البرجوازية المزدهرة النامية.

لقد تألفت في البلاد، التي ازدهرت فيها المدنية الحديثة، برجوازية صغيرة جديـدة تتذبذب بين البروليتاريا والبرجوازية. ولما كانت هذه الطبقة جـزءاً مكمـلاً للمجتمـع البرجوازي فانها تتكون بدون انقطاع؛ ولكن الأفراد الذين يؤلفون هذه الطبقة يتدهورون على الدوام، بنتيجة المزاحمة، إلى صفوف البروليتاريا. وفوق ذلك يشعرون، مع سـير الصناعة الكبرى إلى امام، باقتراب الساعة التي ينقرضون فيها كليـاً بوصـفهم قسـماً متميزاً من المجتمع الحديث، ليحل محلهم في التجارة والصـناعة والزراعـة، النظـار والمستخدمون.

الذين هم أغنى منهم، فلم تبلغ بهم الحال هذه الدرجة بعد؛ إلا أنهم يعرفون هم أيضاً كيف يعوضون عـن هبوط الريع، بتقديم أسمائهم لمؤسسي شركات مساهمة مشكوك فيها لهذا الحد أو ذاك. **(ملاحظة أنجلـس للطبعة الانكليزية عام ١٨٨٨)**.

وكان من الطبيعي في أقطار مثل فرنسا، يؤلف فيها الفلاحون أكثـر بكثيـر مـن نصف السكان أن يعمد بعض الكتاب الذين يناصرون البروليتاريا ضد البرجوازية، إلـى انتقاد النظام البرجوازي والدفاع عن العمال من وجهة نظر خاصة بصغار البرجـوازيين والفلاحين. وعلى هذه الصورة تشـكلت الاشـتراكية البرجوازيـة الصـغيرة. وكـان سيسموندي زعيم هذا الأدب لا في فرنسا فحسب، بل في انكلترا أيضاً.

وقد حللت هذه الاشتراكية، بكثير من التعمق، التناقضات الملازمة لعلاقات الإنتـاج الحديثة وكشفت القناع عن تقاريظ الاقتصاديين المملوءة رياء ونفاقاً وأثبتت، بشكل مفحم لا يدحض، النتائج القتالة لإدخال الآلة في الصناعة ولتقسيم العمل، وتمركـز الرسـاميل والملكية العقارية، وفيض الإنتاج، والأزمات، وانحطاط البرجوازيين الصغار والفلاحين وتدهورهم المحتوم، وبؤس البروليتاريا، والفوضى في الإنتاج، والتفاوت الفـاحش فـي توزيع الثروة، والحرب الصناعية المبيدة المهلكة بين الأمم، وانحلال الأخـلاق القديمـة والعلاقات العائلية القديمة والقوميات القديمة.

ولو رحنا نحكم على هذه الاشتراكية حسب مضمونها الحقيقي، لرأينا أما أنها تبغي أن تعيد وسائل الإنتاج والتبادل القديمة وتوطدها من جديد وتعيد معها علاقات الملكيـة القديمة والمجتمع القديم، وأما أنها تبغي أن تحصر بالقوة وسائل الإنتاج والتبادل الحديثة في نطاق علاقات الملكية القديمة، هذا النطاق الضيق الذي حطمتـه، وكـان لا بـد أن تحطمه حتماً هذه الوسائل الحديثة نفسها. وفي الحالتين تكون هذه الاشـتراكية رجعيـة وطوبوية في آن واحد.

فكلمتها الأخيرة هي إدخال النظام الحرفي في الصناعة، وإدخال النظام البطريركـي في الزراعة.

وفيما بعد، تحول هذا الاتجاه إلى هراء حقير.

جـ- الاشتراكية الألمانية أو الاشتراكية "الصحيحة"

ان الآداب الاشتراكية والشيوعية الفرنسية، وقد نشأت تحت ضغط البرجوازية الحاكمة المسيطرة وكانت التعبير الأدبي عن التمرد على هذه السيطرة، دخلت ألمانيا حين كانت البرجوازية الألمانية في بدء نضالها ضد الاستبداد الإقطاعي المطلق.

وقد تهافت الفلاسفة وأنصاف الفلاسفة والمتأدبون الألمان بشراهة ونهم على هذه الآداب، ولكن سها عن بالهم ان استيراد الآداب الفرنسية إلى ألمانيا لم يرافقه في الوقت نفسه استيراد الظروف والأوضاع الاجتماعية الفرنسية إليها. فقد فقدت هذه الآداب الفرنسية كل دلالة عملية مباشرة بالنسبة للظروف الاجتماعية الألمانية واتخذت صبغة أدبية محضة. ولذا ما كانت لتبدو، بطبيعة الحال، إلا كعبث فكري لا طائل تحته حول تحقيق الطبيعة البشرية. وهكذا لم تكن مطالب الثورة الفرنسية الأولى في نظر الفلاسفة الألمان في القرن الثامن عشر، سوى مطالب "العقل العملي" بوجه عام، ولم تكن مظاهر إرادة البرجوازيين الثوريين الفرنسيين تعبر في نظرهم إلا عن قوانين الإرادة الخالصة النقية، الإرادة كما يجب أن تكون، الإرادة التي هي حقاً إنسانية.

أما عمل الأدباء الألمان الخاص فكان مقتصراً على التوفيق بين الأفكار الفرنسية الجديدة وإدراكهم الفلسفي القديم أو، على الأصح، على استيعاب الأفكار الفرنسية بجعلها مطابقة لفلسفتهم الخاصة.

وقد تم استيعاب هذه الأفكار كما يستوعب المرء لغة أجنبية، أي بالترجمة.

ومعروف كيف اخذ الرهبان مخطوطات المؤلفات الكلاسيكية في العهد الوثني القديم وغطوها بخرافات وأساطير سخيفة عن القديسين الكاثوليك. أما الأدباء الألمان فكان شأنهم مع الآداب الفرنسية الجاحدة على عكس ذلك تماماً. فقد دسوا غباواتهم الفلسفية تحت الأصل الفرنسي. فأنهم مثلاً اخذوا الانتقاد الفرنسي لنظام المال وكتبوا تحته "انتزاع الطبيعة البشرية"، وتحت الانتقاد الفرنسي للدولة البرجوازية كتبوا – "انخلاع سلطان الكونية المجردة"، وهلم جراً.

وبعد ما أبدلوا الشروح الفرنسية بهذه العبارات الفلسفية المبهرجة الفارغة، أطلقوا على عملهم هذا مختلف الأسماء مثل "فلسفة العمل" و"الاشتراكية الصحيحة" و"علم الاشتراكية الألماني" و"وتبرير الاشتراكية فلسفياً"، الخ..

وعلى هذه الصورة جردوا الآداب الاشتراكية والشيوعية الفرنسية تجريداً تاماً من الصفات التي كانت جوهر قوتها وسلبوها رجولتها. وبما أنها أصبحت بين أيدي الألمان بعد هذا العبث والتشويه في حالة لا تعبّر معها عن نضال طبقة ضد أخرى، فقد أخذ سادتنا الألمان يهنئون أنفسهم بأنهم ارتفعوا فوق "المستوى الفرنسي المحدود الضيق" وبأنهم دافعوا لا عن حاجات حقيقية بل عن حاجة الحقيقة، ولا عن مصالح البروليتاريا بل عن مصالح الكائن الإنساني، مصالح الإنسان على العموم، الإنسان الذي لا ينتمي إلى أية طبقة ولا يرتبط بأي واقع، الإنسان الذي لا تجده إلا بين الغيوم السابحة في سماء الأهواء الفلسفية.

إلا أن هذه الاشتراكية الألمانية التي كانت تنظر بكثير من الاحتفال والجد إلى تطبيقاتها غير البارعة الشبيهة بتمارين تلاميذ المدارس، وترفع بها عقيرتها وتنادي بها في أبواقها بشعوذة مدوية صاخبة، قد فقدت شيئاً فشيئاً السذاجة البريئة المتصفة بمباهاة أدعياء العلم والمعرفة.

فقد أصبح كفاح البرجوازية الألمانية ولا سيما البرجوازية البروسية ضد الإقطاعيين والملكية المطلقة، أو بعبارة أخرى أصبحت الحركة الليبيرالية، ذات صبغة جدية أكثر من ذي قبل.

وبذلك سنحت للاشتراكية "الصحيحة" الفرصة المنشودة لمعارضة الحركة السياسية بالمطالب الاشتراكية، فأسرفت في كيل اللعنات التقليدية للنزعة الليبيرالية والدولة التمثيلية والمزاحمة البرجوازية وحرية النشر البرجوازية والحقوق البرجوازية والحرية البرجوازية والمساواة البرجوازية، واستطاعت أن تبث الدعوة بين الجماهير بأنها لا تربح شيئاً بل بالعكس تخسر كل شئ من وراء هذه الحركة البرجوازية. وهكذا نسيت الاشتراكية الألمانية في الوقت المناسب للغاية ان الانتقاد الفرنسي الذي لم تكن هي ذاتها

سوى صداه الحقير، كان يفرض مقدما وجود المجتمع البرجوازي الحديث مع ما يـرتبط به من ظروف المعيشة المادية ومن دستور سياسي موافق له وما إلى ذلك من الشـؤون التي كان لا يزال على ألمانيا أن تعمل لتحقيقها والحصول عليها.

أما الحكومات المطلقة في ألمانيا، بحاشيتها الضخمة من القسس والكهنة والأسـاتذة المربين والإقطاعيين والبيروقراطيين، فقد أصبحت هذه الاشتراكية في أيديها، الفزاعـة المنشودة التي تخيف بها البرجوازية المهددة المهاجمة.

وهكذا أضافت هذه الاشتراكية رياءها التافه الحلاوة إلى الرصاص والبسياط التـي كانت هذه الحكومات نفسها تسلطها بقساوة وشراسة على العمال الألمان المتمردين.

وعدا أن هذه الاشتراكية "الصحيحة" أصبحت، على هذه الصـورة، سـلاحاً ضـد البرجوازية الألمانية في أيدي الحكومات، فانها كانت، زيادة على ذلك، تمثـل بصـورة مباشرة مصلحة رجعية هي مصلحة البرجوازيـة الصـغيرة الألمانيـة. والبرجوازيـة الصغيرة هذه التي خلفها القرن السادس عشر والتي ما انفكت منذ ذلـك الحـين تتولـد وتتولد دون انقطاع تحت أشكال مختلفة تؤلف الأساس الاجتماعي الحقيقي للنظام القـائم في ألمانيا.

فالمحافظة عليها معناها المحافظة على النظام القائم في ألمانيا. وواضح ان السـيادة الصناعية والسياسية للبرجوازية تهدد هذه البرجوازية الصغيرة بالسقوط الأكيـد بنتيجـة تمركز الرساميل من جهة، ونمو البروليتاريا الثورية من جهة أخرى. ولذلك تراءى لهذه البرجوازية الصغيرة ان الاشتراكية "الصحيحة" تستطيع إصابة عصفورين بحجر واحد، فانتشرت انتشار الوباء.

وقد صنع الاشتراكيون الألمان من شفوف نظرياتهم المهلهلة ثوباً فضفاضاً مزركشاً بأزهار دقيقة من فصاحتهم ومبللاً بانداء العواطف الرقيقة الحارة، وأسبلوه على الهيكـل العظمي "لحقائقهم الأبدية"، الأمر الذي ما كان إلا ليزيد في رواج بضاعتهم بين جمهـور كهذا.

وقد أدركت الاشتراكية الألمانية من جهتها، يوماً بعد يوم، انها قد ألهمت وأوحي إليها أن تكون هي الممثل الباذخ لهذه البرجوازية الصغيرة.

فنادى مناديها بأن الأمة الألمانية هي الأمة النموذجية وان التافه، الضيق الأفق الألماني هو الإنسان النموذجي. وألصقت بكل رذائل هذا الإنسان النموذجي ونقائصه معنى دفيناً، معنى اشتراكياً عالياً، يغير وجهها ويقلبها تماماً. واندفعت في هذا الطريق إلى نهايته فأعلنت أنها تقاوم ميل الشيوعية "الهدام الفظيع" وانها تحلق في حيادها السامي فوق كل نضال طبقي. وكل المؤلفات الاشتراكية أو الشيوعية المزعومة المتداولة في ألمانيا، ما عدا القليل النادر منها، تنتمي إلى هذه الآداب القذرة المثيرة للأعصاب*.

٢- الاشتراكية المحافظة أو البرجوازية

يحاول قسم من البرجوازية إيجاد علاج للأمراض الاجتماعية لأجل تقوية دعائم المجتمع البرجوازي.

وينتسب إلى هذا الصنف الاقتصاديون ورجال الخير والإنسانيون والناس الذين يهتمون بتحسين مصير الطبقات الكادحة، وتنظيم أعمال البر والإحسان، وحماية الحيوانات، وتأليف جمعيات الاعتدال والقناعة، أي بالاختصار جميع المصلحين الذين يستوحون آراءهم الإصلاحية من فضاء غرفهم. وقد بلغ بهم الأمر إلى صوغ هذه الاشتراكية البرجوازية في نظم كاملة.

ونذكر كمثال عن هذه الاشتراكية "فلسفة البؤس" لبرودون.

ان البرجوازيين الاشتراكيين يريدون بقاء ظروف المعيشة في المجتمع الحديث ولكن على أن تخلو من النضال والأخطار التي تنشأ بالضرورة عن هذه الظروف نفسها.

---

* لقد كنست العاصفة الثورية عام ١٨٤٨ هذه المدرسة الخسيسة كلها وقضت على كل ميل لدى أتباعها إلى متابعة استغلال اسم الاشتراكية. وكان السيد كارل غرون الممثل الرئيسي والنموذج الكلاسيكي لهذه المدرسة. **(ملاحظة أنجلس للطبعة الألمانية عام ١٨٩٠)**.

أنهم يريدون بقاء المجتمع الحالي، ولكن مطهراً من العناصر التي تغيره ثورياً وتنخره وتحله. أنهم يريدون البرجوازية ولكن بدون البروليتاريا. ان البرجوازية تتصور، بالطبع، العالم الذي تسود فيه وتسيطر عليه كأحسن العوالم، والاشتراكية البرجوازية تنظم هذا التصور المعزي وتسكبه في مجموعة قواعد ونظم متنوعة، كاملة إلى هذا الحد أو ذاك. وهي عندما تدعو البروليتاريين إلى تحقيق نظمها واتباع قواعدها، والدخول بذلك إلى أرض الميعاد الجديدة، أنما تدعوهم في الحقيقة إلى القناعة والاكتفاء بالمجتمع الحالي، ولكن مع التخلي عن نظرة البغض والمقت التي ينظرون بها إليه.

وهناك شكل آخر من هذه الاشتراكية أقل انتظاماً ولكنه عملي أكثر، سعى إلى تكريه العمال بكل حركة ثورية بان حاول أن يبرهن لهم أن أي انقلاب أو تغيير سياسي لا يعود عليهم بأية فائدة، وانما تغيير ظروف الحياة المادية، أي العلاقات الاقتصادية، هو وحده الذي يستطيع أن يفيدهم. وتجب الملاحظة بان هذه الاشتراكية لا تعني أبداً من تغيير ظروف الحياة المادية هدم علاقات الإنتاج البرجوازية الذي لا يمكن تحقيقه إلا بالثورة، بل تعني فقط تحقيق إصلاحات إدارية على أساس علاقات الإنتاج البرجوازية نفسها، إصلاحات لا تمس، بالتالي، في قليل أو كثير علاقات الرأسمال بالعمل المأجور، بل كل ما تفعله أنها تخفض عن البرجوازية نفقات حكومتها وتسهل لها إدارتها.

ولا تبلغ الاشتراكية البرجوازية الغاية القصوى في التعبير عن كنهها ومراميها بتمامها إلا عندما تصبح نوعاً بسيطاً من المجاز والاستعارة.

التبادل الحر! لمصلحة الطبقة العاملة؛ الحماية الجمركية! لمصلحة الطبقة العاملة؛ السجون الانفرادية! لمصلحة الطبقة العاملة – هذه هي الكلمة الأخيرة للاشتراكية البرجوازية، وهي حقاً الكلمة الوحيدة التي قالتها جادة غير هازلة.

إذ أن الاشتراكية البرجوازية، من ألفها إلى يائها، تنطوي عليها هذه العبارة: ان البرجوازيين هم برجوازيون... لمصلحة الطبقة العاملة.

٣- الاشتراكية والشيوعية الانتقاديتان الطوبويتان

ليس موضوع البحث هنا الأدب الذي أفصح في كل الثورات الحديثة الكبرى عن مطالب البروليتاريا (مثل كتابات بابوف وغيره).

فان المحاولات الأولى المباشرة التي قامت بها البروليتاريا لتحقيق مصالحها الطبقية الخاصة في وقت عم فيه الغليان والثوران، خلال مرحلة هدم المجتمع الإقطاعي، انتهت بالضرورة إلى الفشل نظراً لان البروليتاريا كانت غير متطورة ونظراً لغياب الظروف والشروط المادية اللازمة لتحريرها، هذه الظروف التي لا يمكن أن تنشأ إلا في العهد البرجوازي. ومن الواضح أن الأدب الثوري الذي رافق حركات البروليتاريا هذه لا بد أن يكون ذا محتوى رجعي. وهو يدعو إلى زهد عام وسواسية خشنة فظة.

أما النظم الاشتراكية والشيوعية التي جاء بها سان سيمون وفوريه واووين وسواهم، فقد ظهرت في المرحلة الأولى غير المتطورة للنضال بين البروليتاريا والبرجوازية، وهي المرحلة التي تكلمنا عنها فيما سبق (راجع فصل "البرجوازيون والبروليتاريون").

صحيح أن مبتدعي هذه النظم يدركون التناقض والتناحر بين الطبقات، وكذلك فعل عناصر الانحلال في المجتمع السائد نفسه. غير أنهم لا يرون للبروليتاريا أية مبادرة تاريخية أو أية حركة سياسية خاصة بها.

وبما أن نمو التناحر الطبقي يسير جنباً إلى جنب مع نمو الصناعة، فانهم كذلك لا يرون بعد نشوء الظروف المادية اللازمة لتحرير البروليتاريا، ويأخذون في البحث عن علم اجتماعي، عن قوانين اجتماعية، لأجل خلق هذه الظروف.

فتراهم يستعيضون عن النشاط الاجتماعي بنشاطهم الإبداعي، وفي مكان الشروط التاريخية للتحرير يضعون شروطاً خيالية، وعوضاً عن تنظيم البروليتاريا التدريجي في طبقة يضعون تنظيماً اجتماعياً كل تفاصيله من مبتكراتهم. ومستقبل العالم في نظرهم يتقرر بالدعاية لبرامجهم ومشاريعهم عن المجتمع وتطبيقها.

إلا أنهم، عند وضع برامجهم ومشاريعهم هذه، يدركون أنهم يهتمون قبل كل شيئ بمصالح الطبقة العاملة، بوصفها أكثر الطبقات تألماً وتعساً. فليست البروليتاريا بالنسبة إليهم إلا أكثر الطبقات تألماً وتأذياً فحسب.

إلا أن الشكل الابتدائي لنضال الطبقات وكذلك وضعيتهم الاجتماعية الخاصة، يدفعانهم إلى اعتبار أنفسهم فوق كل تناحر طبقي، فيرغبون في تحسين أحوال جميع أعضاء المجتمع حتى أحسنهم حالاً وأكثرهم امتيازاً وتنعماً. ولذا لا يكفون عن التوجه بندائهم إلى المجتمع بأسره دون تمييز ولا تفريق، بل أنهم غالباً ما يتوجهون إلى الطبقة الحاكمة المسيطرة. إذ يكفي في نظرهم أن يفهم المرء حقيقة مشروعهم ونظامهم ليعترف بأنه أحسن مشروع ممكن لتنظيم أحسن مجتمع ممكن.

فهم يرفضون إذن كل عمل سياسي، وينكرون على الخصوص كل عمل ثوري ويسعون إلى بلوغ هدفهم بوسائل سلمية، ويحاولون أن يشقوا الطريق لإنجيلهم الاجتماعي الجديد بقوة المثال وبالقيام بتجارب على مقياس صغير مصيرها طبعاً دائماً الإخفاق والفشل.

ولا ريب أن تصوير المجتمع المقبل تصويراً خيالياً في عهد تنظر فيه البروليتاريا التي لا تزال ضعيفة التطور، إلى أوضاعها الخاصة بصورة هي ذاتها خيالية، ان هذا التصوير ينشأ عن رغائب العمال الغريزية الأولى في تغيير تام كامل للمجتمع.

إلا أن هذه الكتابات الاشتراكية والشيوعية تحوي كذلك عناصر إنتقادية، فهي تهاجم المجتمع الحالي في قواعده وأسسه، ولذلك قدمت في حينها مواد قيمة جداً لإنارة العمال وتثقيفهم. وكانت التدابير العملية التي اقترحتها لما يجب أن يكون عليه المجتمع المقبل، مثل محو التضاد بين المدينة والريف وإلغاء العائلة والربح الخاص والعمل المأجور وإعلان الانسجام والتناسق الاجتماعي وتحويل الدولة إلى مجرد إدارة بسيطة تدير الإنتاج – كل هذه التدابير المقترحة لا تفعل غير ان تعبر عن ضرورة زوال تناحر الطبقات، هذا التناحر الذي لم يكن إلا في بداية ظهوره اذ ذاك، والذي لم يعرف منه

واضعو هذه النظم سوى أشكاله الأولى المبهمة الغامضة المبلبلة. ولذا ليس لهذه الاقتراحات سوى معنى طوبوي صرف.

ان أهمية الاشتراكية والشيوعية الانتقاديتين الطوبويتين تتناسب عكساً مع التطور التاريخي. فكلما اشتد نضال الطبقات واتخذ شكلاً واضحاً، فان هذه الرغبة الخيالية في التعالي عليه، وهذه الطريقة الخيالية في معارضته، تفقدان كل معنى عملي وكل تبرير نظري. ولذلك إذا كان واضعو هذه النظم في كثير من النواحي ثوريين، فان تلاميذهم يؤلفون دائماً حلقات ضيقة مغلقة رجعية. فهم يتمسكون أشد التمسك بمفاهيم أساتذتهم القديمة، بصرف النظر عن تطور البروليتاريا التاريخي المطرد. ولذا يحاولون، وهم بذلك منطقيون مع أنفسهم، أن يخففوا من حدة النضال الطبقي وان يوفقوا بين التناقضات. وهم ما ينفكون يحلمون بتحقيق تدابيرهم الاجتماعية الخيالية عن طريق التجربة – وذلك بإقامة "الفالانستيرات" المنعزلة، أو بإنشاء مستعمرات في الداخل ["Home-colonies"] أو بتأسيس "ايكارية"* صغيرة تكون طبعة جيب عن أرض الميعاد الجديدة، – ولأجل بناء جميع هذه القصور الهوائية الخيالية التي تولدها أحلامهم يرون أنفسهم مجبرين على الاستغاثة بقلوب وجيوب "محبي الخير" من البرجوازيين. وبذلك يقعون شيئاً فشيئاً في عداد الاشتراكيين الرجعيين أو المحافظين الذين سبق الكلام عنهم، ولا يتميزون منهم إلا بادعاء علمي أكثر انتظاماً وتنسيقاً، وبإيمان بالمفعول العجيب الخارق لعلمهم الاجتماعي إيماناً يصل إلى حد الخرافة والتعصب الأعمى.

* الفالانستير (phalanstere) – تعبير أطلقه فوريه على المجتمعات الاشتراكية التي تخيلها. وايكارية (Icarie) – اسم أطلقه كابه على بلد تخيله، ثم على مستعمرة شيوعية أنشأها في أميركا. **(ملاحظة أنجلس للطبعة الانكليزية عام ١٨٨٨)**.

Home-colonies (مستعمرات داخل البلاد). هكذا سمى اووين مجتمعاته الشيوعية النموذجية. وفالانستير هو اسم القصور الاجتماعية التي تخيلها فوريه. ايكارية اسم بلد خيالي طوبوي وصف به كابه مؤسساته الشيوعية. **(ملاحظة أنجلس للطبعة الألمانية عام ١٨٩٠)**.

فهم يعارضون إذن بإصرار وعناد كل حركة سياسية للطبقة العاملة، لان مثل هــذه الحركة السياسية لا يتأتى، حسب رأيهم، إلا عن كفر أعمى بالإنجيل الجديد.

ان الاووينيين في انكلترا يعارضون الشارتيين وأنصار فوريه في فرنسا يعارضون الاصلاحيين**.

** يقصد بالإصلاحيين أنصار جريدة "لاريفورم" "la Reforme" ("الاصلاح")، التي صدرت في باريس في ١٨٤٣ – ١٨٥٠. –**الناشر**.

٤

موقف الشيوعيين من مختلف أحزاب المعارضة

حسب قلنا في الفصل الثاني، يتضح موقف الشيوعيين من نفسه تجاه أحزاب العمال المؤلفة سابقاً، وبالتالي، فموقفهم واضح من الشارتيين في انكلترا ومن المصلحين الزراعيين في أميركا الشمالية.

ان الشيوعيين يناضلون في سبيل المصالح والأهداف المباشرة للطبقة العاملة، إلا أنهم في الحركة الحالية يدافعون في الوقت نفسه عن مستقبل الحركة. ففي فرنسا يتحالف الشيوعيون مع الحزب الاشتراكي – الديموقراطي* ضد البرجوازية المحافظة والراديكالية، مع احتفاظهم بحق انتقاد العبارات والأوهام التي خلفتها التقاليد الثورية.

وفي سويسرا يؤيدون الراديكاليين، دون أن ينكروا أن هذا الحزب مؤلف من عناصر متناقضة، قسم منها اشتراكي ديموقراطي بالمعنى الفرنسي للكلمة، والقسم الآخر برجوازي راديكالي.

وفي بولونيا يؤيد الشيوعيون الحزب الذي يرى في الثورة الزراعية شرط التحرير الوطني، أي الحزب الذي قام بانتفاضة كراكوفيا عام ١٨٤٦.

---

* ان هذا الحزب كان يمثله في البرلمان ليدرو رولان، وفي الأدب لوي بلان، وفي الصحافة اليومية جريدة "la Reforme" وقد أطلقوا اسم "الاشتراكي – الديموقراطي" على ذلك القسم من الحزب الديموقراطي أو الجمهوري، الذي كان يتصف لهذه الدرجة أو تلك باللون الاشتراكي. **(ملاحظة أنجلس للطبعة الانكليزية عام ١٨٨٨).**

ان الحزب الاشتراكي – الديموقراطي في فرنسا كان يمثله في الحياة السياسية ليدرو رولان، وفي الأدب لوي بلان، فهو بعيد إذن عن الاشتراكية – الديموقراطية الألمانية الحالية بعد السماء عن الأرض. **(ملاحظة أنجلس للطبعة الألمانية عام ١٨٩٠).**

وفي ألمانيا يناضل الحزب الشيوعي بالاتفاق مع البرجوازية ما دامت تناضل هذه البرجوازية نضالاً ثورياً ضد النظام المَلَكي المطلق وضد المُلْكية الإقطاعية العقارية، وضد البرجوازية الصغيرة الرجعية.

الا أنه لا يتغافل لحظة عن إيقاظ شعور واضح وإدراك صريح لدى العمال عن التناحر العنيف القائم بين البرجوازية والبروليتاريا، لأجل أن يتمكن العمال الألمان من الاستفادة على الفور من الظروف الاجتماعية والسياسية التي ترافق بالضرورة سيادة البرجوازية، واستخدامها سلاحاً ضد البرجوازية بالذات، لكي يمكن إشهار النضال على البرجوازية نفسها، اثر إسقاط الطبقات الرجعية في ألمانيا.

ان انتباه الشيوعيين يتوجه بصورة خاصة نحو ألمانيا، لأنها على أعتاب ثورة برجوازية، ولأنها ستقوم بهذه الثورة في ظروف تكون فيها المدنية الأوروبية أكثر تقدماً ورقياً، ومع بروليتاريا متقدمة نامية أكثر مما كانت عليه في انكلترا في القرن السابع عشر وفي فرنسا في القرن الثامن عشر. فالثورة البرجوازية الألمانية لا تكون، بالتالي، سوى بداية وتمهيد مباشر لثورة بروليتارية.

والخلاصة أن الشيوعيين يؤيدون في كل قطر من الأقطار كل حركة ثورية ضد النظام الاجتماعي والسياسي القائم.

وفي كل هذه الحركات يضعون في المقدمة مسألة الملكية باعتبار أنها المسألة الأساسية في الحركة، مهما كانت الدرجة التي بلغتها هذه المسألة في تطورها.

وأخيراً، يعمل الشيوعيون على الاتحاد والتفاهم بين الأحزاب الديموقراطية في جميع الأقطار.

ويترفع الشيوعيون عن إخفاء آرائهم ومقاصدهم، ويعلنون صراحة أن أهدافهم لا يمكن بلوغها وتحقيقها إلا بدك كل النظام الاجتماعي القائم بالعنف. فلترتعش الطبقات الحاكمة أمام الثورة الشيوعية. فليس للبروليتاريا ما تفقده فيها سوى قيودها وأغلالها، وتربح من ورائها عالماً بأسره.

يا عمال العالم، اتحدوا!

المحتويات

بيان الحزب الشيوعي